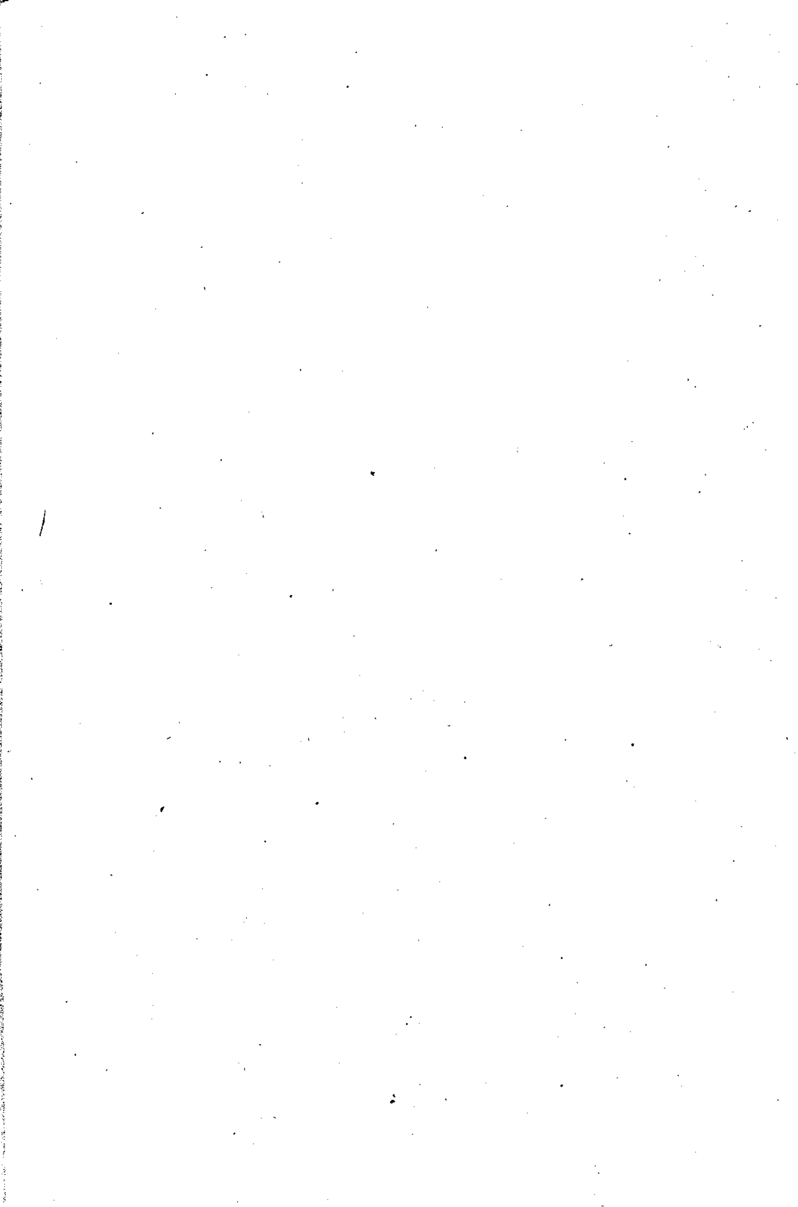
كاي ثورب

مِنْ أُجلِ حَفنةِ جنيهَاتٍ



١ ـ ليزا وريك

ظهر البيت عند منعطف في الطريق ، محاطا بقوس من الاشجار مربع الشكل، من الحجر الرملي الدافيءاللون وفي تصميمه لمحة من الفن الاغريقي وكانت الشمس حارة تغرق واجهته فبدا شامخا متينا .ولم تتبين ليزا الكسور في أحجاره ، واختفاء بعض أجزاء نوافذه ، ومظاهر الإهمال فيه ، إلا عندما خرجت من دائرة ظلال الاشجار ، وتتبعت منحنى الطريق أمام المواجهة . لقد بدا المكان مهجورا .

ووقفت لحظة عند بداية السلم الحجري المؤدى الى الباب وأخذت تخطط في ذهنها العبارات الوصفية الاولى . كان عليها في هذا التحقيق أن تختار بحرص كل ما شأنه أن يجذب اهتمام رئيس التحرير ، دون أن تتعرض كثيرا للناحية الفنية التطبيقية لهذا الأثر الذي يعود تاريخه الى القرن السابع عشر .

هزت ليزا فجأة كتفيها النحيلتين : أي فارق حقيقي بين أن يكون التحقيق مقبولا أو مرفوضا ؟ إنهم بالتأكيد لايمكن أن يدفعوا لها خمسمائة جنيه ، وهو المبلغ الذي كان عليها أن تعثر عليه لو أرادت أن تنتشل ريك من المشاكل التي تورط فيها بسبب ادمانه المقامرة . هذه المرة كان قد اغرق نفسه تماما ! ففي بحر عشرة أيام كان المحاسبون سيطلعون على دفاتر الشركة وحينئذ ستظهر الحقيقة ما لم يستطيع ريك أن يعيد ما كان قد أخذه ولكن خمسمائة جنيه ؟أين يمكن العثور على هذا المبلغ في مثل تلك الفترة الزمنية القصيرة ؟ وعادت بها الذاكرة وهي واقفة في مكانها ، الى عصر اليوم السابق في غرفة الجلوس الصغيرة في الشقة التي يشاركها إياها أخوها والى عيني ريك الزرقاوين اليائستين حينا كان يسألها العون قائلا :

[علي أن أدبر المبلغ بأية طريقة ـ إن ماكبين سيقدمني للمحاكمة . أنا أعرف أنه سيفعل ألا تعرفين أحدا يمكن أن يقرضنا المبلغ] .

[ريك لا أعرف حتى من يمكن أن يقرضني اقل بكثير من هذا المبلغ حتى ولو عرفت فيجب أن أعطي تفسيرا لذلك لا أستطيع أن أخبر أحدا أنني في حاجة الى ذلك حتى أحول دون دخول أخي السجن . ما الذي جعلك تأخذ هذا المبلغ ؟ وما الذي فعلته بكل هذه النقود ؟]

وهز كتفيه وشاح عنها بوجهه الوسيم الذي تقلصت ملامحه قائلا :

[ما جدوى ذلك الآن ؟ يبدو أنك لن تساعديني]

[أنت تعرف يا ريك أنني لو كنت أملك المبلغ أو أعرف أيةوسيلة للحصول عليه في الوقت المناسب لكنت حتما بادرت الى مساعدتك]

القى ريك بنفسه فوق المقعد واتكأ بمرفقيه على ركبتيه واسند رأسه على يديه وقال :

[بذلت المستحيل من أجل الحصول على قرض ولكن محاولاتي فشلت]

قالت ليزا بتردد :

[تستطيع أن تذهب الى السيد ماكبين وتعلمه بالحقيقة قبل وصول المحاسبين واعرض عليه المبلغ استقطاعا من مرتبك . أستطيع أن أساعدك في ذلك سأذهب معك في الصباح إذا شئت]

ورفع ريك رأسه ونظر اليها بدهشة ثم انفجر قائلا :

[لابد أنك تمزحين ! أخبر ماكبين ؟ لابد أنه سيستدعي الشرطه في الحال]

[إنها فرصة . على الأقل قديشعر نحوك بشيء من الاحترام لشجاعتك في اللجوء إليه أرجوك يا ريك أرجوك افعل ذلك]

قفز من مكانه وقال و هو يتجه نحو الباب :

[إذا كان ذلك أفضل ما يمكن فعله فلا جدوى من وجودي هنا علي أن أفكر لأجد مخرجا]

أسرعت خلفه وأمسكته بذراعه وسألته :

[هل ستعود ؟]

ووقف ويده على المقبض وقال وهو يهز كتفيه في عدم مبالاة :

[تقصدين إذا كنت سأهرب من المأزق ؟ فكرت بالفعل في ذلك ولكنني لا أتخيل حياة قائمة على الفرار ثم إن ماكبين لن يهدأ له بال حتى يقدمني الى العدالة أنسي الأمر ياليزا سأجد مخرجا لاتسهري في انتظاري]

ولكنها كانت بالطبع ستسهر في انتظاره ، فكرت في ذلك وهي واقفة في مكانها حيث تركها وأغلق الباب خلفه . كانت حتما ستنتظره كما انتظرته مرات عديدة في قلق وحيرة لأن ريك هو كل ما بقي لها من العائلة .

كانت ليزا في الثانية عشرة وأخوها في العاشرة عندما قتل والداهما في حادثة منذ أحد عشر عاما وكانت العمة التي تولت تربيتهما تحاول أن تكون رقيقة معهما لكن طبيعتها القاسية كانت أقوى ولم تجد ما يدعوها الى إخفاء مشاعرها عنهما ولذلك حولت ليزا كل طاقاتها العاطفية نحو أخيها الصغير أحبته وعملت على حمايته الى حد تحمل التأنيب على سوء أفعاله لأنها لم تكن تحتمل رؤيته حزينا . وفي السابعة عشرة اتخذت الخطوات الأولى نحو تحقيق طموحها في التخصص المهني في الهندسة المعمارية لكن موت العمة اليزابيث بعد عام انتزع منها هذا العزاء عن حرمانها ، ولأنها أصبحت وحيدة تماما في هذه الدنيا فقد رحلت مع ريك الى لندن على أمل أن يجدا في العاصمة المستقبل الآمن الذي كانا يسعيان اليه ، وان اختلفت سبلهما .

ووجدت ليزا عملا لقاء راتب يفي بحاجاتهما معا : عملت خطاطة في شركة هندسية معمارية لكن الشهور الاولى كانت صعبة حتى انها عجزت عن اقتراح بديل حينما أعلن ريك رغبته في ترك المدرسة في نهاية الفصل الدراسي ووجد لنفسه عملا .وعندما بلغ ريك الثامنة عشرة أصبح شخصا مختلفا عن الفتى الذي عرفته منذ عامين . كان ساخطا على عمله وعلى حالته المادية وعلى كآبة الحياة بصفة عامة ووجد طريقه الى موائد القمار وأصبح مشدودا بلا وعي الى عجلة الروليت معتقدا أن المقامرة ستحل مشاكله المادية ولسوء حظه أنه كان محظوظا في البداية ذلك أنه حتى بعدما أصبح يخسر بصفة مستمرة كان يقنع نفسه دائما بأن الدورة التالية للعجلة ستعوضه ، وفي ذلك الوقت بدأت ليزا تكتب كصحفية غير متفرغة اضافة الى عملها الآخر ، مستغلة معلوماتها في الهندسة المعمارية وحبها للتاريخ وكان كل ما تكسبه يذهب الى ريك ، ويساعده على الخروج من العثرة تلو الأخرى ، ويحول بينه وبين الغرق ولم يكن الكلام معه يجدي . لكن ليزا كانت تغري نفسها بأن رضاها ولم يفعل شيئا خارجا على القانون لكن الوضع الآن تبدل .

[أنسة فاريل]

كان الصوت منبعثا من أعلى السلم ، أعاد ليزا دفعة واحدة الى الحاضر .

وكانت المرأة التي وقفت تنظر اليها بابتسامة في العقد الخامس من عمرها وقد ارتدت ثوبا فضفاضا اختلطت فوقه الاتربة ببقع الطلاء الأزرق بمختلف درجاته . وصعدت ليزا الدرجات الثلاث وأمسكت باليد الممدودة وقالت :

[أنا أسفة كنت مستغرقة في أحلام اليقظة أرجو ألا أكون جئت في وقت غير مناسب يا سيدة مارتشبانك]

ضحكت المرأة وقالت : [أنت تشيرين بذلك الى أن ثوبي غير مناسب للترحيب بالزوار يجب أن تسامحينني يا عزيزتي كنت أعلم هذا الرجل المجنون الذي يسمي نفسه اخصائي زخرفة كيف يمزج الطلاء ليكون اللون المرغوب كما سبق أن قلت لك في الهاتف ، أنت على الرحب لإلقاء نظرة على « قصر ورال » وان كان علي ان أحذرك أننا على شيء من الفوضى حاليا بسبب نزع نصف أرض الصالة وبعثرة الحجارة في كل مكان . أرجو ألا تكوني قد توقعت عملا ترميميا كاملا ؟ ربما كان يجب علي أن أذكر أننا بدأنا العمل منذ أكثر من شهرين]

وسكتت لتلتقط انفاسها وانتهزت ليزا الفرصة لتقول :

[لا أهمية لذلك، فالتحقيق الذي أعده يدور حول عملية ترميم بيت قديم]

وانفجرت أساريرها عن ابتسامة واستطردت تقول :

[أعتقد أن مثل هذا التحقيق سيهم كثيرا هؤلاء الذين يشترون بيوتا قديمة فهو يوحي اليهم بأفكار ملائمة]

[تعالي معي الى الداخل يا عزيزتي لأطلعك على المكان]

عبرت السيدة مارتشبانك مع زائريها مدخل الباب ذي الاعمدة الجميلة الى صالة واسعة جيدة الإضاءة يرتفع منها سلم أشبه بالمروحة الى الطوابق العليا . قالت :

[ما رأيك في أن نبدأ بالطوابق العليا حيث انتهى الكثير من العمل ، ثم نعود أدراجنا الى أسفل ؟]

وأومأت ليزا موافقة وأخرجت من حقيبتها مفكرة وقلما . وقالت :

[نفعل الأسهل بالنسبة اليك وأستطيع فيما بعد أن أرتب عناصر التحقيق]

كان العمل يجري على قدم وساق في الطابق الأعلى وعمال الزخرفة يملأون الكثير من غرف النوم بينما كان عمال الكهرباء يشتغلون في الممر الرئيسي ، وقد أبدوا ترحيبا في الرد على أسئلة ليزا حول الصعوبات التي

يلاقونها في مثل هذا البناء القديم ، واستطاعت هي من أجوبة رئيسهم أن تستخلص بعض النقاط التي يمكن أن تفيدها في موضوعها .

عادت المرأتان مرة أخرى الى الطابق الأسفل وقادت السيدة مارتبشانك ليزا الى حيث كان يعمل فريق من الرجال في إصلاح أرضية ثلاث غرف . ووقفت الأخيرة تتابع في اهتمام عمليات الترميم وتستفسر بدقة عن الجديد فيها . وحينما تبعت مضيفها مرة اخرى الى الخارج اكتشفت ان حرارة الشمس لم تخفف من الرائحة القوية المنبعثة من خليط الطلاء المستعمل على الجدران . وسألتها السيدة مارتشبانك :

[هل استطعت الحصول على ما تريدين يا أنسة فاريل ؟]

[نعم . شكرا لك . في الحقيقة وجدت ما يستوعب عدة مقالات] .

وابتسمت ليزا ومدت يدها قائلة :

[كان كرما منك ان تستقبليني وأنا شديدة الامتنان لك على الوقت الذي ضيعته في مرافقتي . أرجوا ألا أكون أخذت من وقتك أكثر مما يجب]

[على الاطلاق من دواعي سروري أن أستقبل من تهتم حقيقة بما نحاول أن ننجزه هنا]

واستدارت عندما فتح باب في الجانب البعيد من الصالة وظهر من خلاله رجلان مقبلان وصاحت :

[آه . والتر . كنت أتساءل أين ذهبتما]

ثم قالت لليزا :

[تعالي لتقابلي زوجي سيهتم كثيرا بالتحقيق الذى تعدينه]

قالت السيدة مارتشبانك وهي تشير الى أكبر الرجلين :

[زوجي وهذا برادلي فورتون وهو هنا مثلك في زيارة خاطفة]

وابتسمت واستطردت تقول :

[الانسة فاريل صحافية يا ولتر . انها تكتب تحقيقا عن « قصر ورال » والترميمات التي نقوم بها] .

وعاد الزوج وهو يشد على يد ليزا وعيناه تلمعان وسط شعره الرمادي :

[رائع للغاية نستطيع عن طريق ماسينشر أن نجتذب الناس للمجيء الى هنا بعد انتهاء العمل لزيادة موارد الأسرة فالترميم عمل مكلف في هذه الايام]

[لسوء الحظ أن هذا صحيح]

ولم يكن الرجل الآخر قد تحرك من أمام الباب ولكن في الوقت الذي كان السيد مارتشبانك يتحدث كان يتابع ليزا بنظراته عندما تكلم ، أدارت ليزا رأسها ونظرت اليه للمرة الاولى ورأت رجلا طوله وحجمه فوق المتوسط ، متحفظ المظهر ولم تهتم كثيرا بهذه التفاصيل ذلك أنها في تلك اللحظة كانت متنبهة فقط الى النظرة الفاترة المسددة نحوها .

سألت بصوت خافت وهادىء :

[في أي دار نشر تعملين يا أنسة فاريل؟]

رفعت رأسها ببطء وقالت :

[لاأعمل لحساب دار واحدة فأنا لست متفرغة ولست مرتبطة]

[إنها مقالة بالعمولة إذن ؟]

ترددت ليزا ثم قالت :

[ليس تماما]

[إما أنها كذلك . أو لا . إذا لم تكن كذلك فلماذا لا تقولين ؟]

وأحست ليزا بأنها متأهبة للدفاع دون أن تدري لماذا تماما وقالت :

[بعت أعمالا لهذه المجلة بالذات من قبل ، طلبوا مني المزيد وهنا يمكن اعتباره من وجهة نظر غير دقيقة عمولة]

[أعتقد أنها عمولة . وربما تستطيعين إقناعهم بذلك]

وهنا صرخت السيدة مارتشبانك :

[براد لي فورتون أنت استفزازي لاتلقي بالا اليه يا آنسة فاريل]

ونظرت الى ساعتها وقالت :

[إنها الرابعة إبقي لتناول الشاي يا عزيزتي.]

وابتسمت وأكملت قائلة :

[كان ذلك هو أول مكان انتهينا من اعداده . يجب أن نأكل بطريقة صحيحة لنعمل بطريقة صحيحة]

[هذا كرم منك لكن الأتوبيس الذي سأعود به الى المدينة يتحرك بعد نصف ساعة . أشكرك مرة أخرى يا سيدة مارتشبانك للسماح لي بالمجيء وأعتقد أنه يمكنك التأكد من أن المقالة ستظهر]

وبسرعة قال أصغر الرجلين :

[أنا عائد الى لندن وأستطيع أن أوصلك وأوفر عليك الوقت والسير حتى

القرية]
ولم يكلف نفسه مشقة انتظار ردها واستدار ناحية الزوجين مارتشبانك قائلا:
[لن أستطيع البقاء لتناول الشاي يا غريس ، علي أن أرى شخصا ما . سأراكما في وقت آخر وحتى ذلك الحين ، استمرا في عملكما]
قالت غريس مارتشبانك :
[تحياتي الى والدتك يا برادلي وحينما ننتهي من إعداد المكان يجب أن تحاول إحضارها لقضاء عطلة معنا وشكرا لك لأنك جئت لزيارتنا]
[كان ذلك من دواعي سروري ، هل ستأتين معي أنسة فاريل ؟]
كانت سيارته واقفة قرب البيت ، سيارة واسعة فيها أحدث وسائل الراحة وقادرة على أن تعود بها الى لندن في أقل من نصف الوقت الذى يستغرقه الأوتوبيس . اجلس ليزا في المقعد الأمامي ثم استدار ليجلس بجانبها أمام عجلة القيادة وبدأ يحرك السيارة دون أن يلتفت اليها ولوح بيده لمضيفيه قبل أن ينطلق .حاولت ليزا أن تجد موضوعا تفتح به حديثا مع رفيق الرحلة واستنتجت أنه من جانبه لايرغب في الحديث واختلست نظرة نحو وجهه ، محاولة كشف الشخصية القابعة خلف الفم الحازم ، والفك المربع وتأكدت أنه ليس وسيما على الاطلاق : كان أنفه في الواقع أشبه بالمنقار ربما كان أفضل ما فيه شعره الغزير الداكن القصير الى الحد الذي لايسمح بأن يتطاير .
وأطلت من النافذة على مناظر الريف الطبيعية متسائلة عما يفعله ريك في هذه اللحظة ، وعما إذا كان وجد طريقة للخروج من ورطته . كان من الطبيعي أن يكون في هذا الوقت من عصر يوم الاثنين في عمله لكنها شكت في أن يكون هناك لأن ذهابه الى عمله يعني أن يواجه مشكلته . وفكرت أن ذلك كله بسبب غلطتها فقد كانت هي التي أقنعته بأن يتدرب على الدفاتر . أما هو فقد كان يريد أن يتجه نحو شيء يمكن أن يحقق له عائدا سريعا . ولو أنها تركته يشق طريقه حسبما اراد فان شيئا من هذا ما كان ليحدث .
[تبدين كما لو كنت تحملين هموم العالم على كتفيك . م تعانين ؟ مشاكل مادية ؟]
فاجأها الرجل الجالس بجانبها بملاحظته حتى أنها ظلت لحظة عاجزة عن النطق ، و عندما تكلمت كانت نبرتها غاضبة :
[إذا ظننت أن عرضك توصيلي يعطيك الحق في توجيه أسئلة شخصية يا

سيد فورتون ، فإنني أفضل أن توقف السيارة حالا وأن تدعني أنزل منها]
ولم يتحرك على الاطلاق وإنما قال في هدوء :
[التحدث مع الغرباء يساعد أحيانا على التخفيف من الهموم ، وربما على إيجاد حل للمشكلة التي تبدو مستعصية الحل]
أشتد توتر ليزا وقالت :[كلا ، أشكرك سأجد الحل بنفسي]
[الإرهاق البادي في عينيك يدل على انك بذلت وقتا طويلا وانت تحاولين ايجاد الحل]
ورمقها بنظرة جانبية سريعة وعاد يقول :
[إنني بإخلاص أحب أن أساعدك يا أنسة فاريل . أتراني مضطرا الى الاستمرار في مناداتك بذلك]
[إسمي ليزا]
[ليزا إنه يروقني وهو يناسبك]
وتغيرت لهجته بعض الشيء واستطرد يقول : [من تكونين يا ليزا فاريل ؟ أنا أعرف أنك صحفية وأنك تعيشين فى لندن ولكن ماذا عن الباقي ؟ هل تحبين ان اتحدث عنك ؟]
ابتسمت فجأة وأحست نحوه رغما عنها بشيء من المودة وقالت :
[إذا شئت]
قال وهو يتحدث في مقعده متخذا وضعا أكثر راحة :
[يمكنني أن أقول انك في حوالي الثالثة والعشرين ترتدين ماشئت من الملابس دون تقيد . معتدلة في الأكل ، لابد أن تكوني وراء هذه البشرة ، وهاتين العينين اللتين تبدوان في انسجام تام مع لون الشعر . وأنا متأكد من انك لاتدخنين ولا تشربين ولاتركضين وراء الرجال]
كانت الضحكة التي اطلقتها متنفسا لها بعد إرهاق الساعات الأربعة والعشرين الأخيرة ، وقالت :
[ما قلته قريب من الحقيقة]
[لكنها ليست كافية ما رأيك في أن تمديني بالمعلومات الكاملة]
[ليس هناك في الحقيقة الكثير . أنت أخطأت في نقطة واحدة فقط . فالصحافة تشغل جزءا من وقتي فقط وفي ما تبقى من وقت أعمل في شركة . وأعيش مع أخي في شقة في لندن]

[ما من أفراد آخرين في الأسرة ؟]
[لا أحد على الاطلاق]
ولاذ بالصمت وبعد لحظة استطردت قائلة :
[لا أفهم لماذا يجب أن تعرف عني كل شيء ، في حين أننا في الغالب لن نلتقي ثانية]
[لكننا سنلتقي الليلة على العشاء مثلا . هل تناسبك الساعة الثامنة ؟]
سألت عاجزة عن إخفاء ضيقها :
[ألا ترى أنك مستعجل نوعا ما ؟]
[بالطبع واحب الا يكون موقفك سلبيا مالم يكن لديك موعد سابق . هل انت مرتبطة الليلة ؟]
[كلا . ولكن ..]
قاطعها قائلا بحزم :
[يجب أن أعرفك أكثر ولا أستطيع أن أفكر في طريقة أفضل من تناول العشاء معا على انفراد وفي هدوء]
واسترخت ليزا فجأة في مقعدها . إنها لم تقابل أبدا أحدا فى مثل تصميم هذا الرجل . كانت عجرفته كفيلة بأن تسهل لها مهمة الرفض لكن إسلوبه كان جزءا من سلبيته . وجدت نفسها تقول :
[سأتناول العشاء معك]
وكانت الساعة قد تجاوزت الخامسة عندما أنزلها أمام بيتها . وقال :
[حتى نلتقي في الثامنة]
وصعدت ليزا السلم ركضا . ودخلت الشقة ، لم تجد ريك كما توقعت ولم تعثر له على اثر يدل على انه عاد طوال اليوم . واتجهت الى غرفة نومها وخلعت حذاءها واستدارت لتتأمل نفسها في المرآة ثم ابتسمت . وخلعت ملابسها وراحت تستعيد كلمات الغزل التي سمعتها من برادلي .وابتسمت من جديد لفكرة خروجها للعشاء معه . سيكون من الرائع أن ترافق مرة شخصا من الواضح أنه يستطيع أن يوفر لها ولنفسه أفضل ما في الحياة . السيارة الأنيقة .والملابس الثمينة واسلوبه في التحدث مع الاخرين . كل ذلك كان يؤكد إمكانياته . لم تكن تعرف عنه شيئا باستثناء أنه صديق عائلي للزوجين مارتشبانك . ولكن هذا الأمر كان كافيا في حد ذاته فالزوجان لم يكونا من

النوع الذي يمكن أن يصادق السيئين من الناس .وانتشلها من افكارها صوت مفتاح يدور في قفل الباب . وذهبت الى غرفة الجلوس لإستقبال ريك ، الذي قال باقتضاب :

[متى عدت ؟] .

[منذ دقائق] .

وتأملته . كان واضحا من سلوكه أن الموقف لم يتغير . وسألته :

[هل تريد أن تأكل ؟]

هز رأسه بالنفي وقال : [عدت فقط لأغتسل ولأغير ملابسي]

وتردد وتحاشى النظر اليها ثم تلاحقت كلماته بسرعة :

[سيكون هناك لعب الليلة في بيت فيل . هل تقرضينني ؟]

وحملقت فيه وصاحت :

[كلا .. لن تقامر الليلة يا ريك]

[هل يمكنك التفكير في أية طريقة آخرى تمكنني من الحصول على النقود ؟ إنني يائس يا ليزا]

[ريك ما جدوى ان تورط نفسك أكثر بالديون في مثل هذا الوقت ؟]

[ربما حالفني الحظ . إذا كسبت الليلة فسأستطيع بسهولة أن أجمع مبلغ الخمسمائة جنيه ،تعلمت نظاما جديدا لايمكن أن أخسر . ما عليك ألا أن ...]

غطت ليزا اذنيها بيديها وصاحت :

[لا أريد أن أسمع ان شيئا فيك لم يتغير حتى لو خرجت من هذا المأزق فستستمر في المقامرة]

حدق فيها لحظة ثم قال متجاهلا كل ما قالته :

[لن تعطيني النقود . أليس كذلك ؟]

وهزت رأسها بالنفي ورأته يزم شفتيه ثم قال :

[سأجد طريقة أخرى للحصول عليها]

وانصرف قبل أن تتمكن من منعه وصفق الباب خلفه بعنف . قالت ليزا لنفسها إنها مجرد مناقشة حامية فى محاولة لنسيان التهديد الذي كان فى صوته . كان متورطا بما فيه الكفاية وقد يورط نفسه أكثر ، حاول فقط ان يخيفها و في الغالب انه يقف في الخارج في انتظار ان تلحق به مثلما كانت

تفعل عندما يغضب ويخرج . والان عليها أن تذهب في أثره لتعطيه ما طلب من مال ، بل لتطلب اليه ان يثوب الى رشده .

لكنها لم تجد ريك في انتظارها ، لقد اختفى ، وعادت ليزا أدراجها وهي تشعر بالوحدة وبالضياع وداهمهما إحساس بالخوف الشديد .

٢ ـ العرض !

وصل براد في الساعة المحددة وتمنت ليزا وهي تفتح له الباب أن يكون توترها قد زال بفضل أدوات الزينة التي استعملتها بعناية بالغة . واستقرت عيناه في اعجاب على كتفيها المرمريتين وقد أحاطت بهما فتحة الثوب الأسود العميقة الاتساع ثم تحول ببصره الى الغرفة

[إنه مكان صغير لطيف . أخوك في الخارج أليس كذلك ؟]

[نعم لحظة واحدة لأحضر حاجاتي]

قال براد وهو يساعدها على ارتداء معطفها :

[من الغريب اننا حتى الأمس لا يعرف احدنا الآخر !]

ثم أضاف هامسا وهو يعدل وضع ياقة المعطف :

[إنني مسرور ياليزا لأنك قررت زيارة ورال اليوم بالذات دون بقية الأيام]

وتحركت برقة مبتعدة عنه منشغلة بإغلاق أزرار المعطف وعندما نظرت اليه كان يتأملها مبتسما وبدا في البذلة الداكنة مختلفا بعض الشيء عن الرجل الذي التقت به عصر هذا اليوم . كان أطول قامة ، وربما حتى أكبر سنا . وفجأة وبلا سبب تمنت لو كانت اختلقت عذرا لعدم المجيء عندما كانت الفرصة متاحة فقد كان في هذا الرجل شيء ما يضايقها ويجعلها تحس بأن هذا اللقاء دبره القدر .

قالت : [هل انت من لندن ؟]

اتسعت ابتسامته وقال :

[إنه دورك في الإستجواب ، أليس كذلك ؟ سأخبرك .. نتناول العشاء أولا ، وبعد ذلك أخبرك كل شيء عن نفسي]

وذهبا الى أحد مطاعم بيكاديلي ، لم تكن ليزا قد دخلته ، أما براد فقد

كان من الواضح أنه وجه مألوف في المطعم الفاخر وتركت له اختيار قائمة الطعام لتأمل أرجاء المكان . كان تقليديا رائعا على مستوى رفيع للغاية . لاعجب إذن في أن أحدا لم يأت بها الى هنا من قبل . وانتهيا من تناول الطعام الفاخر ، ورفضت ليزا ضاحكة أن تتناول الحلوى ، لأنها قد امتلأت واسترخى براد في المقعد وتأملها وقال :

[على الأقل تبدين الآن أكثر سعادة عما كنت حينما فتحت لي الباب . هل أستطيع أن أرجع الفضل في ذلك التغيير لرفقتي]

عضت ليزا شفتيها وتشاغلت بالنظر الى فنجان القهوة أمامها ثم سألت :

[هل كان الأمر ملحوظا ؟]

أطلقت العنان لدموعها كما المرأة دائما وتأملها لحظة فى صمت قبل أن يستطرد : [كتفي على استعداد لأن تستقبل بكاءك اذا رغبت بذلك يا ليزا .. ومهما كانت همومك فان الإفضاء بها يخفف عنك]

[لا أستطيع . لن يكون ذلك عدلا]

[بالنسبة لك . أم بالنسبة لي ؟ اذا كنت المقصود فانسي ذلك وكما قلت لك أنا أحب أن أساعدك اذا استطعت]

[لماذا ؟ لماذا تريد أن تساعدني ؟]

ورفعت عينيها الى عينيه متعمدة . وحرك كتفيه العريضتين وقال :

[يمكن إرجاع ذلك الى الإحساس الشخصي ان لكل شخص مشاكله ياليزا] .

وشردت ليزا بأفكارها لكن مشكلتها مختلفة . وساد صمت بينهما ثم قالت: [وعدتني بأن تخبرني كل شيء عنك]

وتقبل تغيير الموضوع بلا اعتراض وقال :

[وعدتك بالفعل ، حسنا ولأبدأ بالإجابة عن سؤالك السابق . كلا ، أنني لاأعيش في لندن أنني هنا للعمل من يوركشاير . من المنطقة المعروفة بالوديان]

صاحت بدهشة :

[الوديان ، تصورت دائما أن وديان يوركشاير عبارة عن مستنقعات]

[ذلك شأن بعض أجزائها لكننا متحضرون للغاية . من الواضح انك لم تتوغلي شمالا . أين كنت تعيشين قبل مجيئك الى لندن ؟]

[في أوكسفورد] . ونظرت اليه واستمرت تقول :

[كنا نتحدث عنك أنت]
ورمقها بنظرة ثم قال : [هذا صحيح . دعينا نكمل أنني أعيش في ايردال بالقرب من مكان يدعى سكيبتون . وأبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاما . وعملي هو مهندس معماري . ومما أخبرتني به عصر اليوم أجد أن هناك شيئا مشتركا بيننا . ما هو عملك بالضبط ؟]
[إنني أعمل خطاطة] ورمقته باهتمام جديد واستطردت قائلة :
[كنت أهدف الى أن أصبح مهندسة معمارية]
[وما الذي غير فكرك ؟]
[الظروف . أكملت من دراستي عاما واحدا ، والعمل الذي أقوم به الآن هو أقرب شيء ممكن الى أملي الحقيقي]
وبالصراحة التي بدأت تتوقعها منه سأل :
[وما هي الظروف التي حطمت خططك ؟] وفجأة وجدت نفسها تسرد عليه قصة حياتها وأصغى اليها في اهتمام ثم قال[وهكذا جئت الى لندن ووجدت لنفسك عملا واستمريت في رعاية أخيك ماذا يعمل بالضبط؟]
وكانت ليزا خلال نصف الساعة الأخيرة قد حاولت أن تنسى المشاكل التي تعصف بها لكن المخاوف تثقل على قلبها . برغم من ذلك أجابت في هدوء:
[مسك الدفاتر ..]
ورشفت ماتبقى في فنجان القهوة وفاتت عليها رؤية ماطرأ عليه من ضيق مفاجيء ثم قالت:
[عندي إحساس يا براد بأنك لاتريد أن تحدثني عن نفسك انك بارع في تغيير الحديث . يبدو أننا لم نتحدث منذ التقينا الا عن نفسي]
[لاأستطيع أن أفكر في موضوع أفضل في أية حال ، ماالذي تريدين أن تعرفينه عني ؟]
[مثلا . كيف تعرفت بالزوجين مارتشبانك ؟]
[كانا يعيشان في ايرادال ، كانا من جيراننا لكنهما سافرا منذ ثلاث سنوات الى اميركا واشتريا ورال عندما عادا الى الوطن منذ بضعة شهور]
[إنه بيت بديع]
[لقد كان كذلك في يوم وسيستعيد روعته حين الانتهاء من عمليات الترميم والزخرفة . أعجبت كثيرا بكمية العمل التي انجزت فى المكان حتي

الآن . وكما قال والتر فان عملية الترميم قاسية ماديا ومعنويا . لايمكن ترميم جزء وترك الباقي . حاولت ذلك بنفسي ولم أنجح]

وتضاعف اهتمامها وسألت : [هل تعيش أنت أيضا في بيت قديم ؟]

قال : [بيت نورتون في فارلي عمره أكثر من خمسمائة عام]

[قديم الى هذا الحد ؟ أرجوك حدثني عنه]

وابتسم من جديد وهز كتفيه وقال [لست بارعا في رسم الصوربالكلمات ماالذي يمكن أن أقوله عنه؟ أنه الطراز التقليدي لمباني العصور الوسطى بيت على مستوى رفيع من بداية القرن الخامس عشر . لماذا تضحكين ؟]

[تبدو كمرشد سياحي في جولة]

[تمرنت على ذلك كثيرا . نفتح أبوابنا للناس خلال عطلات نهاية الأسبوع الصيفية ، ربما تكتبين عنا في يوم ما تحقيقا]

[أشك في ذلك لاأعتقد أنني سأجد نفسي في ذلك الجزء من البلد]

[أن للقدر طريقة في تدبير الأمور]

واستقلا السيارة في طريق العودة . لقد مرت الأمسية بسرعة شديدة استطاع براد أن ينتزعها من الدوامة التي تعيش فيها وأن ينسيها أمر ريك لفترة كانت تحب أن تعرفه أكثر من ذلك ، لكنه اذا كان في لندن لسبب معين فمن المشكوك فيه أن تتاح لها هذه الفرصة . وسأل براد عندما وقف بالسيارة أمام المبنى حيث شقتها :

[هل تعتقدين أن أخاك عاد ؟]

والقت ليزا نظرة على ساعتها وردت : [أشك في ذلك]

وأوقف محرك السيارة ونزع المفتاح وقال :

[اذن فسأوصلك حتى باب الشقة]

وأدار رأسه ولمح تعبير وجهها وابتسم مستطردا :

[حتى الباب فقط يا ليزا ليس لدي هدف أبعد من ذلك . أعدك]

وأمسك بذراعها وهما يصعدان السلم . كانت لمسة يده رقيقة و دافئة . وحينما وصلا الى الشقة انطلقت كالعادة تبحث في حقيبتها عن المفتاح ، وتأملها في شيء من الاستمتاع وقال :

[علماء النفس يقولون انه تمكن معرفة الشخصية من الاشياء التي يحملها . أحب أن أرى شخصا يخرجك من كل تلك الاشياء الكثيرة !] وأخذ منها

المفتاح. وفتح الباب. وفي الوقت نفسه فتح الباب الداخلي فجأة، ووقف ريك على عتبته وحملقت ليزا فيه بدهشة وقالت: [ريك متى عدت؟]
رد بجفاء:
[منذ ساعات. لم أكن أعرف أنك كنت تفكرين في الخروج.»
[لم تتح لي الفرصة لإخبارك.]
وأحست فجأة بأنها لن تحتمل البقاء معه بمفردها، والدخول ثانية في المجادلات القديمة، وسماع الردود نفسها والتفتت نحو براد وقالت:
[هل تحب أن تدخل لتشرب القهوة؟]
[نعم. أرغب في ذلك.]
وخلعت ليزا معطفها في غرفة الجلوس، وتحركت في اتجاه الباب المؤدي الى المطبخ الصغير، قائلة: [سأعد القهوة.]
لكن ريك استوقفها قائلا:
[اليس في نيتك أن تقدميني الى صديقك؟]
واستدارت محتقنة الوجه وقالت:
[بالطبع أنا آسفة. براد. هذا هو أخي ريك. ريك. هذا هو براد لي نورتون. أجلس يابراد. لن أتأخر في إحضار القهوة.] .
وكانت حركاتها في المطبخ آلية. أما اهتمامها فكان مركزا على همهمة الأصوات المنبعثة من الغرفة. ولم تستطع أن تتبين الكلمات بوضوح، لكن كان واضحا أن الرجلين وجدا الكثير من الكلام المتبادل.
وعندما عادت، بدا جليا أن النقاش انتهى. كان ريك جالسا في جوار المدفأة وظهره لها. وكان براد جالسا في الأريكة المقابلة.
وتناول فنجان منها دون أن يتكلم. وكان واضحا ان شيئا ما ازعجه. «واستبد بها أحساس قوي بان براد فهم أكثر مما كانت تعتقد من القليل الذي سردته عليه هذه الامسية عن مشاكلها. وأن عرضه المساعدة عليها لم يأت من فراغ. وقالت لنفسها أنه ليس من حقه أن يحاول اكتشاف أكثر مما كانت تتمنى أن يعرفه. وتنفست الصعداء عندما رفض براد فنجانا ثانيا ، وأعرب عن رغبته في الانصراف ولم يرد ريك على تحيته ورافقته ليزا الي الباب وهي تحس بالخجل من تصرف اخيها ، وسألها براد حينما وقفا على رأس السلم :
[نلتقي مساء الغد . هل تحبين المسرح ؟]

وترددت ، أحست بالتمزق بين رغبتها في أن تراه ثانية وذلك الشعور الذي يساورها بأنها يجب الا تستمتع بمباهج الحياة في وقت يقف ريك على حافة كارثة . ومع ذلك اذا بقيت في البيت فما الذي يمكن أن تفعله ؟ إن المساعدة التي تنتظرها لن تأتي اذا لم تتحرك . وبرقت هذه الفكرة فجأة في ذهنها . المساعدة التي يحتاجان اليها ربما كانت تقف هنا أمامها . وذعرت في الحال هل كانت تنوي أن تطلب قرضا من رجل لم تعرفه إلا منذ ساعات ربما كان يريد أن يساعدها ولكن خمسمائة جنيه كانت مبلغا كبيرا ومن الصعب أن تتصور أحدا يمكن أن يقدم لشخص لايكاد يعرف عنه شيئا ، ولايملك ما يعرضه ضمانا . وأفاقت من شرودها على صوته :

[ليزا هل سمعت ما قلت ؟]

[نعم يروقني أن أذهب الى المسرح معك]

وانفرجت اساريره بابتسامة وقال :

[إذن سأبتاع تذكرتين وسأمر عليك في السابعة . طابت ليلتك يا ليزا]

وظلت تراقبه حتى اختفى ثم دخلت الشقة وأغلقت الباب ورمقها ريك متفحصا البريق في عينيها والابتسامة على شفتيها وقال :

[ستقابلينه ثانية . من يكون ؟]

[مهندس معماري من يوركشاير ، قابلته عصر اليوم في قصر ورال]

[لم يضع وقته . أليس كذلك ؟ ما الذي أخبرته عني بالضبط ؟]

واستدارت لتلتفت إليه وقالت :

[لاشيء لماذا ؟ ماذا قال لك بينما كنت في المطبخ ؟]

[صديقك هذا لايضيع وقته في الكلمات . جلس هناك ونظر الي مباشرة ، وقال أنه متأكد أنني وراء متاعبك . اظن انني كبير بما فيه الكفاية لأن أتحمل مشاكلي وحدي]

وتساءلت ليزا ما الذي قالته بالضبط لبراد عن أخيها ، الشيء القليل . لابد أنه شعر بما تعانيه من الإحساس بالذنب لأنها نفسها أسهمت في إضعاف شخصية ريك وسألت أخاها : [ماذا قلت له ؟]

[طلبت منه أن يعتني بشؤونه فقط وهل كان هناك رد آخر ؟ ما الذي يعطيه الحق في أن يأتي ليدس أنفه فيما لا يعنيه ؟]

وانتظرت ليزا لحظة قبل أن تقول بنعومة : [عرض علي المساعدة]

[هل فعل ذلك حقا ؟]
وظهر تغير مفاجيء في لهجة ريك وفي سلوكه . واستمر يسأل :
[مساعدة مادية ؟]
[انه لا يعرف نوع الورطة . كيف يستطيع اذن أن يحدد نوع المساعدة ؟ وفي أي حال أننا لا نستطيع أن نقبل من غريب هذا النوع من المساعدات]
[تكلمي عن نفسك إنني على استعداد لأن أقبل المساعدة من إبليس نفسه لو كان من شأن ذلك إنقاذي من هذا المأزق ، تعرفين من الواضح انه لطيف معك . ألا يمكن أن تطلبي منه ذلك ؟]
[كلا بالتأكيد لا أستطيع . أنني لا أكاد أعرف الرجل]
ورفعت الصينية وبدأت تتجه نحو المطبخ .
[حتى لو كان ذلك من أجل أن تحمى أخاك الصغير من دخول السجن؟!]
واستدار ببطء لتنظر اليه وقالت:
[أعتقد يا ريك أن السجن سيفيدك.]
ثم خرجت بسرعة من الغرفة. لكنها عندما آوت الى الفراش، أدركت أنها لن تستطيع أن تقف مكتوفة، وأن تدع ريك يدخل السجن. لابد من عمل شيء ما، لابد من قهر كبريائها ومحاولة الحصول على قرض من براد نورتون. لن تدع هذه الفرصة تفلت منها.
ولكن كيف السبيل الى طلب مثل هذه المساعدة من رجل لا تربطها به معرفة وثيقة؟ كيف تستطيع أن تذهب اليه وتقول براد..أريد منك أن تقرضنى خمسمائة جنيه، ولكننى لا أستطيع أن أخبرك عن السبب لأنه قد يورطك في شبهة إخفاء جريمة، ولا اعرف متى استطيع رد المبلغ اليك. إنه حتما سيضحك منها مستخفا. وظلت مؤرقة لفترة طويلة محاولة أن تجد حلا آخر، لكن دون جدوى. أصبح براد الأمل الوحيد الآن. واليأس قد يسحق امورا كثيرة من بينها الكبرياء والكرامة.
لكنها فقدت الكثير من حماستها لهذا القرار وهى جالسة بجانبه في المسرح مساء اليوم التالي. ولم تلتفت الى المشاهد التمثيلية التي كانت تدور أمامها، لكنها كانت شديدة الاحساس بوجود الرجل الجالس بقربها وبأنه كان بين الحين والآخر يدير رأسه نحوها، ويتفحصها. ربما يكون شعر بقلقها. وفي بداية الفصل الثاني من المسرحية، أمسك بيدها بطريقة طبيعية وكأنه صديق قديم.

وتركت أصابعها تعانق أصابعه. كانت يده دافئة وجافة، وأحست بتلاحق خفقات قلبها. والغريب أن هذه الحقيقة جعلت مهمتها أصعب..

وحينما عادا ثانية الى السيارة بعد انتهاء العرض قال براد:

[إنها ليلة رائعة هل أنت مضطرة للعودة الى البيت أم تفضلين نزهة ؟ إنني فى حاجة الى نسمة هواء]

ووافقت ليزا في تردد فهي كانت تريد أن تطيل البقاء معه أكثر وقت ممكن لكنها كانت تنوي أن تأخذ ما تفكر في طلبه منه ، ازداد الأمر صعوبة بالنسبة اليها . لقد كانت تنوي أن تنتظر حتى يعود بها الى البيت قبل أن تسأله ما إذا كان جادا في مساعدتها .كانت الليلة بالفعل رائعة دافئة وخالية من الغيوم. وتركا السيارة في أحد الشوارع الجانبية وراء حدائق فيكتوريا، وسارا في اتجاه جسر واترلو- وأدار براد وجهه وسط الضباب المنبعث من النهر، وقال:

[أردد دائما أن هذا واحد من أفضل الأماكن في مدينتك مثل هذا النهر الكبير يمكن أن يمنح الجياة الكثير من المتعة. ولكنكم سكان لندن لا تعطونه مثل هذه الاهمية] .

[أعتقد أنك على حق. كم من الوقت ستمضي في لندن يا براد؟]

[كان المفروض أن أعود اليوم. هل يمكن أن تعرفي لماذا مازلت هنا؟]

ومرة أخرى تلاحقت خفقات قلبها وردت بصوت خافت: [كلا.]

[ايتها الكاذبة الصغيرة. حسنا. إذا كنت تريدين الأمر بوضوح، فقد بقيت لأنني التقيتك ولأنه كان علي أن اراك ثانية] .

وتوقف عن السير فجأة، وأمسك بذراعها، وجذبها لتواجهه. متسائلا:

[هل يدهشك ذلك؟]

ردت هذه المرة بصدق لأن عينيه الرماديتين حاصرتا عينيها:

[كلا أوضحت بتصرفاتك أنك تجدني جذابة.]

وضحك لتعليقها وداعب برقة وجنتيها. وقال:

[أنت التواضع نفسه أنني أجد الكثيرات جذابات، لكنها المرة الأولى أغير فيه خططي من أجل واحدة.]

اكتشفت ليزا أنه يجيد فن المغازلة. وتساءلت عن خطوته التالية وهى تحاول أن تتجاهل الألم العميق في اعماقها.وتأمل وجهها وسأل:

[ألا تصدقيننى؟ هل تشكين فى تصرفاتى؟ ماالذى يمكن أن أفعله

لإقناعك بأننى جاد؟]
رأت أن فرصتها حانت وجف حلقها، وتراكضت خفقات قلبها. وبرغم ذلك بدت متماسكة عندما قالت بهدوء:
[تستطيع أن تثبت ذلك؟]
[كيف؟]
وتنفست فى عمق وقالت:
[باقراضى خمسمائة جنيه.]
استطاع أن يسيطر على انفعالاته فلم تتغير تعابيره. ولكن شيئا جديدا بدا فى عينيه وهو يحدق فى عينيها. وقال:
[أخوك اليس كذلك أنه فى ورطة ما.]
[نعم .]
[ما نوع الورطة؟]
[لا أستطيع أخبارك.]
وشاحت عنه بوجهها، واتكأت على السور بذراعيها. وحملقت فى مياه النهر وقد استبد بها الأحساس بالخجل وبالضيقس وفجأة قالت:
[أنس ذلك يا براد أنس تماما ما قلته.]
وانبعث صوته هادئا للغاية: [ما هى مهلته؟]
وابتلعت ريقها بألم وأجابت: [تسعة أيام.]
[يا للغرابة!]
[ما وجه الغرابة؟]
[لايهم مجرد فكرة عابرة.]
وسكت لحظة ثم قال:
[سأقرض ريك النقود يا ليزا.. لكن هناك ما اريده فى مقابل ذلك.]
تطلعت نحوه، وسألت فى هدوء :
[ما الذى تريذه يا براد؟]
وكان جوابه صدمة:
[أريد أن أتزوجك.]

٣ - الزواج

قالت ليزا مشدوهة:

[أهى طريقتك فى المزاح؟]

[الرجال الذين يعرضون الزواج مازحين غالبا ما يكتشفون أن الدعابة انقلبت عليهم وليست هذه بالتأكيد عادتى.]

وأحست بأنها مضعضعة وهمست:

[لكن لا يمكن أن تقصد ذلك. أننا لم نلتق إلا منذ أكثر من اربع وعشرين ساعة بقليل.]

[لا أهمية للفترة الزمنية، ولا يمكن أن أكون أول رجل اكتشف مدى جاذبيتك.]

[ربما لا لكنهم لم يعتبروا طلب الزواج مقدمة ضرورية لإقامة علاقة.]

[هذا تعليق لاذع السخرية. ربما يكون من الضرورى أن أعيد صياغة طلبى.]

وكانت ليزا لا تزال عاجزة عن التصديق. فسألته:

[هل تحاول أن تقول أنك متيم فى حبى؟]

ولمع بريق فى العينين الرماديتين، وقال:

[هل يمكنك اقتراح سبب آخر لرغبتى فى الزواج منك؟]

[قد تكون مدفوعا بالشفقة علي.]

وعادت الابتسامة الى شفتيه وقال:

[الشفقة قلما تكون دافعا للزواج وفى أي حال، فلست ذلك الرجل المحسن] .

ووقف متكئا على سور الجسر ، ونظرت اليه ليزا ذاهلة، ثم قالت:

[لا أدرى تماما ماذا اقول.]
[حاولى أن تقولي نعم، أنها أسهل من لا والطف كثيرا.]
وامسك بيدها فجأة، وجذبها نحوه قائلا:
[الأفعال أحيانا يمكن أن تقول للمرأة ما تعجز عنه الكلمات.]
[أذا قلت لا هل ستقرضنى النقود؟]
ومرت لحظة صمت خاطفة قبل أن يهز رأسه قائلا:
[كلا..لن افعل. أننى أريدك يا ليزا، وأود الحصول عليك. واذا كانت مساعدة أخيك على الخروج من ورطته تخدم هدفى فسأستغل ذلك وأكون سعيدا.]
وحدقت فيه يائسة، وقالت:
[هل أنت متحجر القلب على ذلك النحو عندما تكون راغبا فى شيء؟]
[نعم حينما أكون شديد الرغبة فيه] .
[ولا فارق فى الأمر اذا لم أكن أبادلك الحب؟]
[لا فارق فى الأمر اذا لم تكوني تبادليننى الحب الآن. لكن الحب ينمو يا ليزا. إن بيننا قدرا مشتركا، وقد أخبرتنى أنك لست نافرة مني كرجل. هل هناك دليل أفضل من ذلك؟]
وشردت بأفكارها: خلال الأعوام الاخيرة كانت محرومة من الحب والأمان وكانت فى حاجةماسة اليهما ويبدو أن براد على استعداد لأن يمنحها اياهما الن تكون مجنونة اذا رفضت كل ما عرض عليها لمجرد أنه من الأفضل أن تحب الرجل قبل أن تتزوجه ؟ ثم هناك ريك هل تستطيع أن تحرمه فرصة التخلص من ازمته ؟ هل تستطيع أن تقف مكتوفة وهي تراه في الطريق الى السجن ، في حين انها تملك مفتاح الحل ؟ لكن الشكوك ساورتها . ما الذي تعرفه عن الرجل الذي كان يقف صامتا في انتظار جوابها ؟ ما الذي تعرفه عن الماضي عن ظروفه وحتى عن شخصيته باستثناء ما لمسته من تحجر قلبه ، الأمر الذي أثار مخاوفها بعض الشيء ؟ وسألت :
[هل أطمع في مهلة قصيرة ؟]
[مهلة لماذا ، لو كان في نيتك أن تقولي لا قوليها الآن]
وتساءلت ليزا هل تستطيع حقا أن ترفض ؟ وشعرت بداور : كيف يتصرف الانسان في مثل هذا الموقف ؟ وقطع براد الصمت قائلا :

[فكري في الأمر وأنت نائمة تعالي سأوصلك الى البيت]
ولفهما الصمت أثناء عودتهما الى لامبيث . وتنفست ليزا الصعداء عندما رفض دعوتها الى تناول القهوة وقال :
[سأمر عليك غدا في الموعد نفسه لأعرف الجواب . أليس كذلك يا ليزا ؟]
كانت الشقة تسبح في الظلام وأضاءت ليزا النور ورأت ظرفا أبيض مسندا على الساعة . واتجهت ناحية المدفأة وأخذته ، وأخرجت منه الورقة المفردة وشحب وجهها وهي تقرأ : ليزا قدم مراقبوا الحسابات موعد حضورهم الى اليوم الجمعة لا تسهري في انتظار عودتي
ولم تكن ليزا تستطيع أن تحدد كم من الوقت وقفت تحملق في الورقة . كانت الأفكار تتصارع في رأسها . أفكار يائسة مشوشة لم تلبث واحدة منها أن بزغت في وضوح : الآن لم يعد أمامها خيار . واتجهت نحو الهاتف وبحثت في الدليل عن رقم فندق براد وطلبته قبل أن تتنبه الى أنه ربما لايكون قد وصل بعد لكن عاملة الاستقبال أوصلتها بغرفته على الفور :
[مرحبا ليزا ، ماذا حدث ؟]
قالت وقد أسعفتها إرادتها بالسيطرة التي كانت تحتاج اليها :
[فكرت يا براد سأتزوجك]
[هناك أمور لابد من مناقشتها سأتي اليك حالا]
[الآن ؟ لكن الليل على وشك أن ينتصف]
لم يسمع اعتراضها اذ كان قد وضع السماعة . ووصل بعد عشر دقائق .أغلقت الباب واستدارت لتواجهه وقد تحفزت للدفاع عن نفسها . أما هو فقال دون مقدمات :
[لابد أن شيئا ما ارغمك على اتخاذ القرار المفاجيء الذي كنت تتهربين منه]
ونظر اليها في امعان واستطرد متسائلا :
[أين ريك ؟]
[في الخارج]
ناولته الرسالة مستطردة وقد بدا عليها الإرهاق :
[هذا سيشرح لك الأمر]
وقرأ بسرعة وعندما نظر اليها ثانية كان وجهه خاليا من التعبير وقال :

[كان رد فعلك الفوري هو الاتصال بي والموافقة على عرضي ؟]
وكان في صوته شيء ما لم تستطيع أن تفهمه ووجدت نفسها تسأل بصوت مرتجف :
[ألم يكن ذلك ما أردت ؟ أنت جعلت الزواج شرطا لاعطائي المال]
وتفحص وجهها ولاحظ شحوبها وقال :
[هذا ما فعلته كانت مغامرة من جانبي لكنني محتاج اليك الى أقصى حد يا ليزا]
ومد اليها يديه قائلا : [تعالي]
وذهبت اليه مسلوبة الارادة ووضعت يديها في يديه بحثا عن الطمأنينة التي كانت في أشد الحاجة اليها ، وأحست وهي بين ذراعيه أنه من العسير عليها أن تركز في غير هذه اللحظة وقالت وهي تبتعد عنه :
[سأعد القهوة]
[سأساعدك]
ولم تتكلم لأنها لم تكن تعرف ماذا تقول . كانت لاتزال تحس بأن وجوده مفروض عليها . كان في تصرفاته من الرقة مثلما كان فيها من العنف وادركت أن مثل هذا الرجل لن يكون من العسير الوقوع في حبه . وحمل عنها الصينية واتجه بها الى غرفة الجلوس ووضعها ، ثم نظر اليها بابتسامة لم تستطع أن تقاومها ، وقال :
[أنني مؤهل للحياة العائلية كما ترين]
وابتسمت بدورها واستطرد قائلا :
[هذا أفضل لن نلبث أن نتبادل الدعابات . الأمر لن يكون بالصعوبة كما كان في البداية]
وفكرت هي في ذلك . كلا ، لن يكون الأمر صعبا لقد بدأ جمودها يذوب بفعل الدفء في عينيه وفي صوته وقالت :
[حدث كل شيء بسرعة . مازلت لا أستطيع التأقلم مع الأمر كما ينبغي]
[إذن لا تحاولي . اهدائي فقط واستعدي للآتي]
وسكت لحظة ثم استطرد قائلا :
[ليس هناك شيء يا ليزا يحول دون زواجنا فورا . أستطيع إنهاء كل الترتيبات في الصباح ، ويمكننا الزواج يوم السبت والذهاب رأسا الى فارلي

عقب إنتهاء المراسم]

[بهذه السرعة ولكن ماذا عن ريك ؟]

[ماذا عن ريك ؟ إنه في الحادية والعشرين وهذا يؤهله تماما للعناية بنفسه . وربما جعله ذلك يكتسب الشعور بتحمل المسؤلية ، وفي أي حال فلا أعتقد أن ريك يمكن أن يستقر في ايردال .. إنه حتما سيشعر بالملل قبل مضي أسبوع]

كانت تعرف أنه على حق ، فحتى لو دعا ريك وهو ما كانت تشك فيه ، فانه لن يوافق أبدا على الذهاب معها الى يوركشاير . انه يحب لندن ، يحب صخب المدينة الكبيرة . أما بالنسبة للميسر فربما علمته هذه الأزمة درسا ، على الأقل لن يخاطر ثانية بالإستدانة من أصحاب العمل . وسألت فجأة :

[ماذا ستقول والدتك في هذا الزواج السريع ؟]

[سيكون أسعد يوم في حياتها عندما أصطحبك معي الى البيت ، لقد تمنت دائما أن تكون لها ابنة]

[كيف تبدو ! هل تشبهها ؟]

[كلا لا أشبهها على الاطلاق أنها ضئيلة وشقراء ولطيفة للغاية .]

وتغير تعبيره بعض الشيء، واستأنف قائلا:

[أنها أيضا تعانى من مرض في القلب يمكن أن يقضى عليها في أي وقت. وهذا هو أحد أسباب رغبتي في الزواج بسرعة .]

[إننى آسفة يا براد. هل تعرف انها مريضة؟]

[نعم أنها تعرف، أنها مريضة منذ سنرات، وكان علينا دائما أن نكون شديدى الحرص حتى نجنبها الصدمات والأحزان أيا كان نوعها]

وسكت ثم أضاف:

[ربما كان علي أن أخبرك بكل ذلك قبل أن أطلب الزواج منك. ربما شعرت أننى أطالبك بالكثير.]

[أنا لاأظن ذلك بالطبع، ويسعدنى أن ذكرياتى عن أمى قليلة للغاية]

وكانت تهم بصب القهوة عندما تناهي اليهما صوت مفتاح يدور فى القفل . وبعد لحظة دخل ريك، ووقف عندما رأى براد وقال:

[إذن فتلك سيارتك في الخارج؟]

ونظر فى اتجاه أخته وسأل:

[هل بقى شيء من القهوة؟]
ونهضت فى حين انطلق براد ببشاشة:
[أننى متأكد من أن ريك لن يتعب ان هو احضر فنجانه بنفسه]
واحتقن وجه ريك وعبس ليخفى الحقيقة. وسأل متهكما:
[ألا ترى إنك تتدخل...أكثر من اللازم؟]
وتحركت ليزا فى اتجاهه قائلة:
[ريك إنك لاتفهم إننا...أقصد أنا وبراد..]
وتحشرج صوتها كيف يمكن ان تطلعه على هذه المفاجأة؟
وتدخل براد قائلا بهدوء:
[سأتولى الأمر. إن ما تحاول ليزا أن تقوله هو اننا سنتزوج. ألا توافقنى أذن على أن ذلك يعطينى بعض الحق فى هذا البيت؟]
[تتزوجان؟ هل أنت مجنونة يا ليزا أم أنه هو المجنون؟]
[هذه هى الحقيقة يا ريك.]
وظل لحظات يحملق فى اخته ذاهلا، ثم بدأت تعابيره تتغير تدريجيا وعاد يكرر تتزوجان بلهجة مختلفة هذه المرة، واستطرد يقول:
[حسنا أذن أعتقد بأن التهنئة واجبة. متى سيكون اليوم السعيد؟]
[قريبا بما فيه الكفاية لانقاذك وتستطيع أن تكف عن قلقك من أن تفضحك تصرفاتك فسيكون أول شيء أفعله فى الصباح هو أعطاؤ الخمسمائة جنيه.]
[شكرا . ستسترد المبلغ بالطبع.]
[اعتبره هدية أننى لاأعرف سبب حاجتك اليه ولا أريد أن أعرف، ولكن تأكد من أن ما حدث لن يحدث ثانية، فلست أنوى أنفاق ما تبقى من حياتى فى تمويل طموحك الى الحياة المرفهة]
[شكرا مرة أخرى أيها الأخ الكبير]
وكانت لهجة ريك مزيجا من الامتعاض والعرفان. ورمق أخته بنظرة شفقة وقال: [أتمنى أن تكونا سعيدين]
ونهض براد واقفا وهو يقول:
[سنكون سعيدين. والآن يا ليزا من الأفضل أن أنصرف.]
وأمسك بذراعها عندما وصلا الى الباب، ودفعها خارجه، وسحبه خلفهما.

وسأل: [هل انت غاضبة منى؟]
[كيف يمكن أن اغضب بعد مافعلته؟ لم تكن مضطرا أن تعطى ريك المبلغ هدية كان يجب أن يرده].
[غالباً كان ما يدفعه ذلك الى المزيد من التورط. كلا أفضل هذه الطريقة. سأراك مساء الغد سيكون يوما مشحونا.]
واتسعت عيناها وهي تقول:
[براد لا أستطيع أن أتزوجك يوم السبت، على الأقل لا أستطيع أن أذهب معك الى يوركاشاير لآننى مضطرة الى ابلاغ المؤسسة التى اعمل فيها برغبتى فى ترك العمل قبل ذلك بشهر]
[سأحضر عصر الغد الى المكتب وأرتب لك الآمر، بحيث تتركين العمل مساء وحينئذ نستطيع أن نقضى اليومين التاليين معا، ما رأيك؟]
ولم تشك لحظة فى أنه يستطيع ترتيب الأمور علي النحو الذى ذكر. لأن لا شيء مستحيل بالنسبة لرجل مثل برادلى نورتون. وأحست لذلك بالاضطراب الشديد ولمح هو مخاوفها، فلانت نظراته وقال:
[أنت متعبة ستبدو الأشياء مختلفة فى الصباح]
وهمس قبل أن ينصرف:
[ثقى بى يا ليزا.]
كان ريك واقفا قرب المدفأة عندما عادت الى الغرفة. كانت فى عينيه نظرة اعجاب وهو يراقبها وقال بلطف:
[إن سمكة رابحة تلك التى اصطدتها وأحضرتها الى هنا. أن الشخص القادر على منحك خمسمائة جنيه لابد وان يكون ثريا]
[كف عن هذا الكلام. أننى لن أتزوج براد بسبب رصيده فى البنك.]
[وهو بالتأكيد لن يتزوج للسبب نفسه. هل المفروض أن أصدق أنه كان حبا من النظرة الاولى؟]
[هذا يحدث]
[بالنسبة اليك نعم. لكن برادلى نوعه مختلف.أنه واحد من الذين يحسبون لكل خطوة حسابها قبل اتخاذ أى قرار ولا يمكن أن يكون قد عرف عنك الكثير خلال هذه المدة القصيرة.» وسكت برهة ثم قال:
[ماذا تعرفين عنه؟]

ولم يدهشها أنه لم يدرك الحقيقة الكامنة وراء زواجها الوشيك فقالت فى انفعال:

[ما فيه الكفاية لأن أدرك أنه كان يعنى ما قاله من أنه لن يقرضنى الخمسمائة جنيه أذا لم أوافق على الزواج منه.]

وارتفع حاجبا ريك وتفحصها؟ لابد كما لو لم يكن يعرفها من قبل وقال:

[هل قصد ذلك بالفعل؟ لابد أنك تخفين فى أعماقك ما فجر مثل هذه العاطفة فى أعماق رجل.]

وحملقت فيه مشمئزة وقالت:

[إلا يضايقك أنني وعدت رجلا لاأحبه بالزواج؟]

[أننى ممتن للغاية للتضحيات التى تقومين بها من اجلى، لكننى لاأعتقد أنك خرجت من هذه المغامرة خاسرة، فالزواج الثرى هو حلم أكثر الفتيات. لاتحاولى أذن أقناعى بأنك لم توافقى ألابسببى. فنحن جميعا نتصرف بوحى من مصالحنا]

[ريك ماذا دهاك لم أعهدك هكذا لم أعد أعرفك على الاطلاق!]

[انت ما عرفتنى ابدا. كنت تريدين أن تربه، وحاولت ان تطبعينى بطابعك انت. كنت دائم موجودة يا ليزا تدفعيننى وتوجهيننى، هل فكرت فيما كنت أشعر به خلال كل هذه السنين، منذ جئنا الى لندن وأنت تحومين حولى أشبه بالدجاجة الأم؟ يا الهى اعتقدت أنك لن تتزوجى أبدا، وتتركينى وحيدا!]

[آسفة لم اعرف أبدا أن هذا هو شعورك نحوى.] ثم استدارت وتركته.

تم الزواج صباح السبت فى احتفال قصير بارد. أحست ليزا بالسرور عند انتهائه. كانت ترتدى ثوبا ومعطفا من اللون الأزرق المفضل لديها، مع قبعة فيها ورود صفراء. وفور أتمام المراسم اتخذ العروسان طريقهما الى البيت فى يوركاشير. ولم يتكلم براد طوال الفترة التي كان يخترق فيها الازدحام فى شوارع المدينة. ولم يشعر بالاسترخاء الا بعد أن تجاوز حدود المدينة، وحينئذ قل اهتمامه بالطريق والتفت الى ليزا وسألها:

[بماذا تشعرين؟]

[بالجوع فأنا لم أكل شيئا من طعام الفطور]

[أذن فمن الافضل أن نقف فى أول مكان لنأكل]

ورمقها بنظرة أخرى سريعة وقال [لم يبد عليك أنك عصبية أثناء المراسم]

[لم يكن هناك فى الحقيقة وقت للشعور بأي شيء . تم كل شيء بأقصى سرعة]

[نعم ، أعتقد أن الأمر كان كذلك] وصمت لحظة ثم قال بهدوء :

[هل أنت نادمة على أنه لم يكن حفل الزفاف الذي تحلم به النساء . الثوب الأبيض والطرحة الطويلة ووصيفات الشرف]

[كلا ليست هذه هي الأشياء المهمة . وأعتقد أن الأمهات هن اللواتي يحلمن بهذه الأشياء التي تفرحهن]

[في مناسبة الحديث عن الاقارب كان أخوك هذا الصباح حزينا . هل أجرؤ على تفسير ذلك بأنه أدرك كم ستكون الحياة من دونك أكثر صعوبة ؟]

وتذكرت ليزا الليلة السابقة عندما جاء أخوها الى غرفتها بعد أن أوت الى فراشها وطلب منها أن تنسى ما قاله لها منذ ثلاث ليال ، واعتذر بأنه كان مشوشا بعض الشيء ، وبأنه لم يكن يدري ما يقول . وخطر في بالها حينئذ أنه أقدم على ذلك طمعا فى ما يمكن أن يحققه له زوجها في المستقبل من مصدر رزق يمكن الاعتماد عليه ، لكنها قاومت الفكرة وقبلت الاعتذار . وردت ليزا مدافعة :

[أن ريك ليس في الحقيقة سيئا ، لكنه سهل الانقياد وليست هذه جريمة في حد ذاتها]

[يعجبني فيك اخلاصك يا ليزا . لكن تذكري انني الآن زوجك ولست في حاجة الى اخفاء أي شيء عني ، لم تكن هذه المرة الاولى التى يقع فيها ريك في ورطة وفي الغالب أنها لن تكون الاخيرة . انه يريد حياة سهلة دون حاجة الى الكفاح . ومن الأفضل أن تسارعي بمواجهة حقيقة أنه لن يتغير ، وأن تكفي عن التفكير فيه]

[انه مازال أخي]

[ويعني لديك أكثر مما أعني ؟ ربما انقلب الوضع بمرور الوقت]

وفكرت ليزا في ذلك وهي تختلس نحوه نظرة فالايام الثلاثة الماضية احدثت في علاقاتهما تحولا كبيرا ، لقد كان عند كلمته فرتب الامر مع صاحب العمل بحيث استطاعت ان تترك العمل مساء الاربعاء ، برغم انها لاتدري كيف استطاع ان يصل معهم الى هذا الاتفاق . ثم كرس كل وقته لإسعادها . فقد زارا معا عدة أماكن ، وفعلا أشياء لم تكن تملك الوقت أو المال للقيام

بها . كان كل شيء رائعا وبرادلي هو الآخر كان رائعا .
وحركت ليزا الخاتم الذهبي الملتصق بالخاتم السوليتير الذي أهداه اليها منذ يومين . وأحست فجأة بالإسترخاء بعد توترها صباحا . انها لم تعد ليزا فاريل ولكن ليزا نورتون ، ولم يكن هناك سبب يحول دون نجاح هذا الزواج . وتوقفا لتناول الغداء ثم استأنفا السير . واستسلمت ليزا للنوم . وعندما استيقظت أزاحت شعرها عن وجهها وهي تشعر بالدفء وبالنشاط .
وقال براد دون أن يرفع بصره عن الطريق الذي يمتد امامه :
[استسلمت الى اغفاءة طويلة هل أحسست بتحسن ؟]
[نعم ، أين نحن الآن ؟]
[على بعد خمسة أميال تقريبا من البيت سنصل في الخامسة والنصف]
البيت ،دارت الكلمة في رأسها . لكنها لم تكن تعني لها شيئا ، انه بيت براد وليس بيتها في الوقت الحاضر على الأقل .وأخيرا سلك براد طريقا ضيقة مؤدية الى بوابة حديدية قديمة منحدرة بزاوية ، وكان من الواضح أنها لم تغلق منذ سنين وبعد أن تجاوزاها وصلا فجأة أمام البيت ووقفت السيارة ونزلت ليزا عندما فتح لها براد الباب ، وتطلعت في شغف الى المبني الذي كان امامها وسألها براد :
[ما رأيك فيه ؟]
هزت رأسها قائلة :
[ماذا يمكن أن أقول ؟ إنه كل شيء تمنيته وفي الحقيقةلم أتوقعه أبدا]
[ستغيرين رأيك عندما تراقبينه بالتفصيل إن قصر فارلي في حاجة الى عدد كبير من الإصلاحات ، اذا كان عليه ان يضم أجيالا جديدة من آل نورتون]
ولاحت ابتسامة على شفتيه عندما اصطبغت وجنتيها بحمرة خفيفة واستطرد قائلا :
[لندع هذه الامور للمستقبل في الوقت الحاضر مازال أن تقابلي أمي]
وكانت الشرفة الامامية مفتوحة على الممر بطول البيت وفي نهايته باب مزدوج يؤدي الى الصالة الرئيسية الكبرى ، مضاءة من ناحية الغرب بنافذتين مزينتين بالزجاج الملون . وفتح براد بابا وأدخلها الى غرفة جلوس أنيقة الأثاث وقد غمرتها أشعة شمس المساء المبكرة ، وقال :
[إبقي هنا من فضلك يا ليزا حتى أذهب لأرى أين أمي . لايمكن أن

تكون بعيدة فهي تعرف موعد وصولنا]
تركها وحدها . واتكأت على مقعد قريب ونظرت الى خشب السقف المزخرف . كم عدد الأجيال من آل نورتون التي جلست في هذه الغرفة ؟ أي نوع من الناس كان هؤلاء القدامى من أجداد زوجها ؟ ما الذي يمكن أن تكون عليه أمه ؟ وفتح الباب وسمعت صوتا يقول :
[لابد أنك ليزا]
واستدارت بسرعة وفوجئت بما رأته : فالمرأة التي واجهتها لم تكن تكبرها بأكثر من خمس أو ست سنوات ، حسنة المظهر وكان شعرها الشاحب في صفرته طبيعيا ، ومتهدلا وراء ظهرها ، ووجهها بيضاويا رائعا . وعادت تقول في ابتسامة عجزت عن أن تدفيء جمود عينيها :
[انني فيليسيا مور ، لم أعرف أنك وصلت حتى نظرت من النافذة ورأيت السيارة . أين براد ؟]
[ذهب يبحث عن أمه]
وارتفع الحاجبان المرسومان بدقة ، وقالت المرأة الاخرى :
[وترك عروسه وحدها هنا ؟ يا له من تصرف غير لائق . إن اليسيا في غرفتها في الطابق الأعلى وأخشى أن يكون الانفعال شديدا عليها بعض الشيء لقد كان شيئا يشبه الصدمة بالنسبة لكل شخص حينما اتصل براد تليفونيا وأعلن الخبر]
[أتوقع أنه كان كذلك . وأرجو فقط ألا يكون قد أصاب السيدة نورتون أي أذى]
[ظاهريا لا . بل ان الدكتور أدامز ذهب الى أبعد من هذا في قوله إن زواج براد كان أفضل شيء يمكن أن يحدث]
وكان في صوت فيليسيا نغمة شاذة وفي عينيها بريق غريب وأضافت :
[سيكون لديها الآن ما يسعدها . فالاحفاد بهجة حقيقية للمسنين]
وارتفع صوت براد الذي ظهر على عتبة الباب دون أن تلاحظ وجوده المرأتان ، قائلا : [ألست تفكرين في المستقبل أكثر مما ينبغي ؟]
ولاح بريق عميق في العينين اللتين كانتا لاتزالان تحملقان في ليزا واستدارت فيليسيا لتنظر اليه وقالت :
[إنها فاتنة يا براد ، لقد أحسنت صنعا بنفسك]

وأحني رأسه قائلا :
[أنا أعتقد ذلك أيضا]
والتقت عيناه بعيني ليزا وقال :
[يبدو أن أمي إنفعلت أكثر من اللازم إنها نائمة الان ولذلك فسنؤجل لقاءها]
[لكنني سأراها اليوم ؟]
[لا أرى ما يمنع ذلك . سأخذك اليها بعد العشاء ، وحتى ذلك الحين من الأفضل أن أشرف على نقل حقائبنا]
قالت فيليسيا بنعومة :
[أتوقع أن تكون ليزا متلهفة الى تغيير ملابسها . تقول أمك يا براد أنه من الأفضل أن تخصك بالغرفة التي كانت تشغلها مع والدك . هل اصطحب ليزا الى الطابق الأعلى ريثما تحضر الحقائب ؟]
[أجل]
كانت الغرفة التي اصطحبتها اليها فيليسيا في الواجهة الامامية للبيت متسعة للغاية ، وكان ملحقا بها غرفة إضافية تضم خزانة كبيرة وأريكة وحماما وجاء براد بالحقائب وابتسمت فيليسيا للعروسين وقالت :
[سأطلب من باني أن يعد الشاي . هل ستعودان الى الطابق الأسفل أم أنكما تفضلان تناول الشاي هنا ؟]
قال براد :
[نريده هنا . فكلانا في حاجة الى حمام]
[كما تشاءان]
وأغلقت الباب خلفها تاركة إياهما . واتجهت ليزا نحو إحدى النوافذ ، وأطلت على الارض الجرداء التي كانت في ما مضى حديقة رائعة التنسيق ذات أشجار وممرات وينابيع . وقال براد الذي وقف وراءها :
[من الصعب العثور على بستان جيد هذه الايام . الجانب الخلفي أفضل بعض الشيء]
قالت في آسى :
[ما كان يجب أن تعطي ربك النقود في حين انت تحتاج اليها هنا]
اجابها برقة متناهية :

[المال متوفر يا عزيزتي . لا تبالي]
وأمسك بكتفيها وأدارها بلطف لتواجهه وقال :
[ليزا سأبلغ الخامسة والثلاثين من عمري الخميس المقبل وفي ذلك اليوم سأرث أكثر من ربع مليون جنيه تبعا لوصية أبي الروحي]

٤ ـ سيدة قصر فارلي

فتحت ليزا عينيها على اتساعهما وشهقت ثم قالت :
[هكذا ؟]
[هكذا .. ان أبي الروحي كان صارما وهو يعتقد أن الرجل لا يكون أهلا لاستغلال مبالغ مالية كبيرة قبل بلوغه تلك السن .]
قالت بانفعال :
[لكن هذا رائع هذا يعني أنك ستكون قادرا على القيام بكل ما تريد عمله في فارلي]
نظر الى وجهها بفضول وقال :
[معظم النساء تسحرهن كثرة المال أليس هناك ما تريدينه لنفسك ؟]
قالت بحزم :
[نعم أريد أن أطمئن أن فارلي ستظل قائمة بعد رحيلنا . سيكون ذلك يا براد أشبه بشراء قسم من التاريخ]
وانسحبت يداه فجأة من فوق كتفيها لتحضنها وقال :
[أعتقد انني وجدت لنفسي زوجة نادرة]
وتعلقت به ، مدركة أنه يضمها على هذا النحو ، فإن كل شيء آخر يفقد أهميته . كان براد هو الذي أبعدها عنه قائلا في شيء من الخشونة :
[ستطرق باني بابنا ومعها الشاي في أية لحظة]
[باني ؟]
[يمكنك اعتبارها مديرة بيتنا لكننا نعتبرها من أفراد الأسرة جاءت الى هنا كمربية لي عندما كنت طفلا وبقيت معنا منذ ذلك الحين ولست أدري ماكان يمكن أن نفعله من دونها بعد وفاة أبي فقد أصيبت أمي وقتذاك بأول أزمة قلبية وان كانت متاعبها ترجع الى مرحلة صباها عندما داهمها

ابتعد براد عنها وخلع سترته استعدادا لدخول الحمام . وبدأت هي تفرغ حقائبها وهي مشغولة الفكر . من تكون فيليسيا مور ؟ كان من الواضح أن براد سلم جدلا بأن المرأة الأخرى شرحت لهاعلاقتها بآل نورتون وفي الغالب أن فيليسيا افترضت الشيء نفسه . وتحرك في أعماقها شعور خفي بأن وجود هذه المرأة الجميلة التي تكبرها سنا يهدد سعادتها . وبعد دقائق سمعت طرقا على الباب ثم امرأة مسنة تحمل صينية .. كانت باني واحدة من النساء اللواتي لايمكن التأكد من حقيقة أعمارهن ، فبوجهها الصغير المستدير وبعينيها الصافيتين وبشعرها الأشقر الناعم ، كانت تبدو بين الخامسة والخمسين أو الستين . قالت وهي تضع الصينية فوق المائدة الصغيرة المتحركة :

[أنت في حاجة الى هذا الشاي بعد تلك الرحلة . إنني أسفة لأنني لم أستقبلك على الباب يا سيدة نورتون . كنت أنوي ذلك لكني نسيت موعد الوصول ، وأحب أن أقول لك كم أنا مسرورة لرؤية براد أخيرا مع زوجة . وزوجة جميلة كما أرى . إنني أعرفكما ستسعدان معا]

وابتسمت ليزا في ارتياح . لقد وجدت هنا على الاقل وجها ودودا وقالت

[أشكرك يا باني إنني متأكدة من أننا سنسعد معا]

ولمعت عينا المرأة المسنة وقالت :

[هل حدثك براد عني ، هل أخبرك أنني كنت مربيته ؟]

[نعم ، وأخبرني أيضا أنك أصبحت فردا من أفراد الأسرة لذلك ألا تعتقدين أنه من الأفضل أن تناديني باسمي مجردا ؟ اسمي ليزا]

وبفرحة واضحة قالت باني :

[يسرني ذلك كثيرا . هل أصب لك فنجانا أم أنك ستنتظرين خروج زوجك من الحمام ؟]

[هانذا] وظهر براد في الغرفة وقد التف بثوب من القماش الناشف وكان شعره الاسود مازال مبتلا وقال :

[ما رأيك يا باني فيها ؟]

[إنها امرأة رائعة . إن هذا الزواج سيثمر ذرية نادرة الجمال لآل نورتون]

ابتسم وهو يتطلع الى ليزا وقال :

[احترسي يا باني إنها لم تتعود على أسلوبنا في الحديث . أليس كذلك يا

حبيبتي]

وكانت هذه هي المرة الاولى يستعمل في مخاطبتها هذه الكلمة فغمرها شعور بالسعادة وبابتسامة مشرقة ردت :

[أتوقع أن أعتاد ذلك بسرعة]

وقالت باني باسمة وهي تنتقل ببصرها بينهما :

[سأترككما لتناول الشاي ولاتنس يا برادلي نورتون أننا في هذا البيت نتناول العشاء في السابعة والنصف بالضبط]

وساد الصمت لحظات بعد أن غادرت الغرفة وغمر ليزا إحساس بالخجل عندما تنبهت الى أنها وحدها مع هذا الرجل الذي أصبح زوجها . وتحركت في اتجاه عربة الشاي قائلة :

[قطعتين من السكر أليس كذلك ؟]

[نعم] ونهض ليأخذ الفنجان منها ثم جلس فوق مقعد قريب وقال بعد أن تناول الرشفة الأولى :

[انه لذيذ . ان باني تجيد دائما تحضير الشاي]

وصبت ليزا لنفسها فنجانا وذهبت لتجلس فوق ذراع مقعده وبهدوء سألت : [من تكون فيليسيا يا براد ؟]

ورفع بصره نحوها وقال : [ألم تخبرك ؟]

[أخبرتني فقط باسمها]

[انها من أبناء العمومة]

[هل تعيش هنا بصفة دائمة ؟]

[كلا . انها تعيش في ليدز . أقامت هنا فترة ، ولكن أستطيع القول أنها لا تشعر بالحاجة الى ذلك الآن . لماذا تسألين ؟]

[لأنني أعتقد أنها لا تحبني كثيرا]

ربما دفعت هذه الاجابة أي رجل آخر الى الاستهزاء بالفكرة ، ولكن براد اكتفى بأن هز كتفيه قائلا :

[ربما لا . إن فيليسيا ليست سريعة التأقلم مع النساء . عليها أن تعتاد عليك حتى تألفك]

وفجأة أخذ منها الفنجان ووضعه مع فنجانه على الأرض قرب مقعده ، وقبل أن تدرك نيته كان قد أحاط خصرها بذراعه وجذبها الى الأرض وبرقت عيناه

بشدة وهو يقول :

[إنك لن تستطيعي الهرب مني طوال اليوم يا ليزا . ومن الأفضل أن تدركي ذلك سريعا . هل أنت خائفة مني ؟]

ردت بسرعة : [بالطبع لا]

[إذن برهني على ذلك]

ونظرت في عينيه الرماديتين . ومرة أخرى أحست بالفرحة تجتاحها وضحكت هامسة : [حسنا]

قال براد وهو يرمقها باعجاب :

[هذا أفضل . هذا أفضل كثيرا ، ان الأمر لن يكون شديد الصعوبة . أليس كذلك يا ليزا ؟]

همست وهي تدفن وجهها في كتفيه : [كلا]

لن يكون الامر صعبا على الاطلاق مادام قادرا على أن يشعل فيها مثل هذا اللهيب .. هل حقيقة يبدأ الحب على هذا النحو ؟ هل تتحول الرغبة الحسية الى هذا الدفء العاطفي الذي غمر كيانها ؟ أنها بالتأكيد لم تشعر بمثل ذلك نحو أي رجل آخر . في السابعة والربع هبطت ليزا مع براد السلم القديم الجميل المؤدى الى صالة كانت النوافذ تعكس عليها ألوانها الرقيقة . ولأنها كانت في حالة معنوية طيبة فأنها لم تحاول الالتفات نحو مظاهر الخراب التي حدثها عنها ، وبدلا من ذلك فقد تخيلت الغرفة التي كانا يتجهان نحوها في ضوء الماضي عامرة بالناس تنبعث منها أصوات االخدم ووقع أقدامهم المسرعة وهم يعدون المائدة الرئيسية العظيمة لعشاء الأسرة . ففي تلك الأيام البعيدة كانت الصالة هي المكان الرئيسي تستعمل للأكل والمقبلات وحتى لمجرد الجلوس .

وتوالت أفكارها : في تلك الأيام أيضا ، كانت الأرض في الغالب مغطاة بفروع نبات السمار الأسطوانية التي حافظت على القاع سليما دون أن يتأثر بما كان يتناثر فوقه من بقايا الطعام . وابتسمت ليزا لنفسها في شيء من المرارة المعرفة يمكن ان تكون احيانا عاملا على تعرية الحقائق وتحريرها من الأوهام .

وكانت فيليسيا قد سبقتها الى غرفة الجلوس . بدت خلابة في ثوب بسيط من الحرير التراكوتا وتمنت ليزا لو كانت قد ارتدت ثوبا آخر أكثر أناقة من

ذلك الثوب الأزرق الداكن من الكتان . وحاولت أن تكون لطيفة مع المرأة الآخرى لكن صدها عن ذلك نفور فيليسيا الظاهر .

وكان الوصول الى غرفة الطعام عن طريق باب مزدوج فى الجدار الخلفي لغرفة الجلوس . وجلس براد على رأس المائدة الطويلة المصنوعة من الخشب الفاخر وابتسم لليزا الجالسة الى يمينه وقال :

[لو ترك الأمر لباني لأجلستك فى مكانك الصحيح على الطرف الآخر باعتبارك سيدة فارلي ، لكن هذا الترتيب أكثر ملائمة ألا تعتقدين ذاك ؟]

ضحكت قائلة : [هذا صحيح فالمكان ملائم تماما]

والتقت بنظرة فيليسيا المتهكمة وماتت الضحكة في أعماقها وتمنت بلهفة أن تغادر المرأة الأخرى فارلي في أقرب وقت ممكن . فد أحست أنها لن ترتاح في وجودها . وأحضرت باني الطعام فوق عربة موقدة ، وشرح لها براد أن هذه ضرورة لوجود المطبخ في الجانب الآخر من البيت وأضاف أنه خطط لتحويل احدى غرف هذا الجانب الى مطبخ عصري والاحتفاظ بالمطبخ الرئيسي الكبير كأثر تاريخي . وسألته ليزا متجاهلة وجود المرأة الأخرى وسط هذا الموضوع الحيوي [ستقوم بنفسك بالعملية . أليس كذلك يا براد متى ستبدأ العمل؟]

[خلال الأسبوع أو الأسبوعين القادمين . أكملت المراجعة التاريخية والإنشائية ورسمت التصميم]

وارتفع حاجبا فيليسيا وقالت :

[تبدين على معرفة بهذه الأمور ياليزا . هل قرأت عنها ؟]

وقال براد قبل أن تتمكن هي من الإجابة :

[إن ليزا مدربة على العمل نفسه الذي اقوم به]

[ذكية أيضا يا عزيزي برادلي ؟ أنت محظوظ]

وتعذر على ليزا فهم التعبير الذي ارتسم على وجه زوجها ، لكن بدا أنه لقي بعض الترحيب لدى فيليسيا التي استمرت تقول:

[لكنك كنت دائما محظوظا لوسقطت في البالوعة فستخرج منها حتما تفوح منك رائحة العطر]

رمقها بنظرة جامدة قائلا :

[تكلمت دون مناسبة بطريقة غوغائية . كفي عن ذلك يا فيليسيا فإن ليزا لاتفهم مزاحك]

ولم تسكتس فيليسيا تماما وبعدها مدت يدها وربتت على يده وقالت :
[يجب ألا تلقي بالا الى دعاباتي الصغيرة ياليزا ، إنني وزوجك نتعمد أن نستفز أحدنا الآخر كلما التقينا]
وتساءلت ليزا وهي تركز اهتمامها في صحن الطعام عما اذا كان هناك شيء أكثر من القرابة بين المرأة وبراد .. شيء حطمه زواجه المفاجيء ؟ ربما فسر ذلك سلوك فيليسيا وأحست بموجة غيرة تجتاحها ، سرعان ما قاومتها حتى لاتفسد سعادتها . يجب ألا تهتم بما سبق لقاءهما . كانت هي التي أحبها ورغب الزواج منها وكان ذلك كل ما يعنيها .
وانتهى العشاء وطلب منها أن تذهب معه لرؤية أمه وسألها وهما يعبران البهو الأول : [هل أنت متعبة لقد كان يوما طويلا]
وفكرت في أنه كان كذلك لكنه كان يوما رائعا وهمست :
[بعض الشيء]
ولف ذراعه حول كتفيها وجذبها لتلتصق به وقال بلطف :
[أتمنى ألا تكوني متعبة أكثر من اللازم فهذه ليلة زفافنا يا حبيبتي ليزا وأريد لك أن تتذكريها]
ووقف امام باب وطرقه بخفة وتراجع ليتيح لها دخول الغرفة قبله . كانت الغرفة شأن الغرف الباقية ذات مصابيح خافتة الأضواء موضوعة فوق مناضد وكانت الستائر الزرقاء مسدلة فوق النافذتين . وبرغم أن الطقس لم يكن باردا فإن النار كانت مشتعلة في المدفأة المبنية على طراز القرن الثامن عشر والتي كانت ظلالها تتراقص على وجه المرأة الراقدة فوق السرير المرتفع ذي القوائم الأربع . وبدت اليسيا نورتون تماما كما وصفها ابنها وكان الشبه الوحيد بينهما العينين الرماديتين اللتين رحبتا بالقادمين ترحيب حرارة ، قالت الأم :
[اذن فأنت ليزا ، ليتك تعرفين كم اشتقت الى اليوم الذي يحضر فيه ابني عروسه الى فارلي]
ومدت يدها نحو ليزا مبتسمة وعادت تقول وقد أمسكت بيد زوجة ابنها :
[إنك جميلة للغاية يا عزيزتي وطيبة أيضا أستطيع أن أرى ذلك في عينيك]وابتسمت من جديد هذه المرة لبراد وقالت :
[انه مثل أبيه ، عنيد . هل تعتقدين يا ليزا أن في استطاعتك ترويضه ؟]
ووجدت ليزا نفسها تنظر اليه عبر السرير وواجهت بجدية النظرة الساخرة في

عينيه قبل أن تقول :

[أستطيع فقط أن أحاول . هل روضت اباه ؟]

ضحكت اليسيا قائلة :

[معظم الوقت لكن الأمر لم يكن سهلا . ان رجال آل نورتون يحتاجون الى حرص شديد في المعاملة]

وقال براد في هدوء :

[وهم أيضا يعترضون على المناقشة في امورهم كأنهم غير موجودين . في أي حال تبادلتما مافيه الكفاية من الاحاديث هذه الليلة . ستصعد باني حالا لتحكم وضع الأغطية حولك يا أمي]

ولمعت عيناها وهي ترنو الى ليزا قائلة :

[هل فهمت ما أعني كلهم مسيطرون] وانحنت الى ليزا وقبلتها برقة فوق جبهتها قائلة : [أتمنى أن أراك غدا في أحسن حال]

وتمهل براد خارج الغرفة ثم قال :

[اذا لم يكن يضايقك فإنني أريد التحدث معها على انفراد . اهبطي الى الطابق الأسفل أو ربما ترغبين في الذهاب مباشرة الى غرفتنا ؟]

وأحست ليزا بتراكض خفقات قلبها وباحتقان وجنتيها وقالت :

[حسنا ، سألتقط حقيبتي أولا من غرفة الجلوس]

[سأراك بعد دقائق]

كانت فيليسيا في غرفة الجلوس بدا عليها شيء من الدهشة عندما أقبلت ليزا وحدها وقالت :

[هل هجرك براد بهذه السرعة ؟ يا للعار]

تجاهلت ليزا سخرية فيليسيا وقالت :

[نزلت بحثا عن حقيبتي]

[تعنين أنك ستأوين الى غرفتك في مثل هذه الساعة ؟ إن الساعة لم تتجاوز التاسعة .هل على العروس حقا أن تظهر مثل هذه اللهفة ؟ أعتقد أن ربع مليون جنيه تضاعف من جاذبية الرجل ..]

ورفعت ليزا رأسها ونظرت الى المرأة الآخرى في ازدراء وكراهية وقالت :

[هل تحاولين الزعم بأنني تزوجت براد لماله ؟]

[ولم لا]

[ماذا تقصدين]

[انه يعني أيتها الساذجة الحلوة أنك تخدعين نفسك اذا اعتقدت أن براد يحبك ، من الواضح أنه أخبرك عن الاموال التي سيرثها لكنني أراهن على أنه لم يفصح لك أبدا عن أهم ما في الوصية]

وسكتت سلطت عينيها على وجه ليزا الشاحب ثم استطردت قائلة :

[كان عليه أن يتزوج حتى يحصل على المال فلو أنه بلغ الخامسة والثلاثين وهو لايزال أعزب فقد كان سيفقد هذا المال حتما]

وقفت ليزا لحظات بلا حراك ، كان ذهنها يحاول استيعاب ما سمعته ، وراقبتها فيليسيا في إمعان وعلى فمها ابتسامة غامضة ثم قالت :

[انك تحاولين عدم تصديقي لكنك تعرفين أن هذه هي الحقيقة ، وحتى أوضح لك الصورة أكثر ، اذكر لك ان براد عرض علي الزواج منذ فترة ليست طويلة وعندما رفضت كنت أعرف أنه يعاني يأسا ، وانه سيفعل أي شيء ليضع يديه على تلك الثروة]

وأحست ليزا بأن المرأة تقول الحقيقة واستطاعت في لحظة أن تلم بالموقف كله . لقد تزوجت براد من أجل الخمسمائة جنيه التي بدت لها في ذلك الحين ثروة ضخمة في حين ان ما حصل عليه و من هذا الزواج هو الثروة الحقيقية .وبدا كل شيء لها واضحا : لم يقل لها أبدا أنه يحبها لكنها هي التي افترضت ذلك ، انه ببساطة أتاح لها أن تعتقد ما أراد لها عقلها الساذج أن تعتقده . كانت فيليسيا على حق كان محظوظا بما فيه الكفاية لأن يعثر على واحدة مثلها في اللحظة الأخيرة تقريبا . ليست فقط في موقف يضطرها الى تلبية احتياجاتها وانما أيضا جذابة بما فيه الكفاية لأن تجعل الزواج أمرا معقولا ومأمولا . وأفاقت من ذهول الصدمة وبدأت تواجه الواقع كانت متأكدة من شيء واحد أنها لن تسلم لبراد بحق الاستمتاع بالزوجة التي لم يحبها . وتمتمت فيليسيا في خبث وهي تستدير في اتجاه الباب :

[ارجو لك ليلة سعيدة]

ولم يكن براد قد عاد الى غرفة النوم عندما وصلت ليزا اليها . اغلقت الباب ووقفت لحظة وظهرها مستند اليه . عيناها مغلقتان ، وحينما فتحتهما وجدت السرير المرتفع القوائم في مواجهتها معدا تماما . ان باني بالتأكيد هي التي فعلت ذلك ، وأشاحت بنظراتها بسرعة وعبرت الغرفة في اتجاه مائدة الزينة .

وجلست امام المرآة وأسندت رأسها الى يديها . هذا ما شعر به ريك حتما حين علم أن مراقبي الحسابات سيأتون . الشعور بالوقوع في فخ ، الشعور باليأس ! ورفعت رأسها ونظرت الى المرآة ورأت وجها في شحوب الموتى ، وعينين غارقتين في الألم ، وكانت لاتزال جالسة في مكانها عندما دخل براد الغرفة وسأل بخفة :

[هل صعدت لتوك ؟]

وردت بصوت جاف لاوجه للشبه بينه وبين صوتها :

[نعم لقد تحدثت مع فيليسيا]

ورأته في المرآة يتجمد فجأة ،وعيناه تحملقان فيها وقال بصوت خال من التعبير :

[أرى ذلك بوضوح]

استدارت لتواجهه قائلة :

[هل هذا كل ما لديك]

[ما الذي تريدين مني أن أقوله ؟]

[أريد منك فقط أن ترد على سؤال واحد . وأود أن ترد بنعم ولا : حينما عرضت علي الزواج في تلك الليلة هل كان ذلك لأنك أحببتني ؟]

وساد صمت وراقبها متحكما في تعابير وجهه . ثم قال : [كلا]

حتى ذلك الحين كان لدى ليزا شيء من الامل في أن يستنكر سؤالها ، وأن يأخذها بين ذراعيه ليقنعها بأنه على رغم أن القصة التي روتها لها فيليسيا صحيحة إلا أنه أحبها حقيقة . كانت مستعدة لأن تصدقه لأنها كانت ترغب يائسة في أن تسمعه يقول ذلك . لكن نفيه كان أشبه بالصفعة حتى انها بدت مترنحة . وحدقت فيه بعينين واسعتين ، وقالت أخيرا :

[لم يعد هناك مجال لاي كلام أليس كذلك ؟]

[ما المفروض أن أستنتج من ذلك ؟ ما الذي قررته بالضبط يا ليزا ؟]

[ماذا تظن ؟ أريد إلغاء هذا الزواج] واستدارت بعيدة عنه وهي تناضل من أجل السيطرة على نفسها في مواجهة هذا الموقف في حين انطلق هو قائلا باللهجة الباردة نفسها : [كلا]

واستبد بها الخوف وبرغم ذلك اندفعت قائلة :

[لكنك حصلت الآن على كل شيء أما أنك تخشى أن تفقد المال اذا

الغي الزواج ؟]
[هذه نقطة لم أفكر فيها حتى هذه اللحظة ، لكن وجه الغرابة أن ذلك ليس السبب في أنني لن أوافق على الألغاء]
[لماذا اذن ؟]
[إنها أمي ، الصدمة قد تقتلها] وتأمل وجهها والتوت شفتاه مستطردا :
[إنني إنسان يا ليزا]
وعضت شفتها مدركة ان ماقاله عن اليسيا كان حقيقيا :
كيف كانت تستطيع الحصول على مأعتقدت أنه السبيل الوحيد المتبقي لها ؟ انها حتى لو غادرت هذا البيت فان أم براد قد تموت . هل يستطيع أحد أن يتحمل هذا العبء على ضميره مدى الحياة ؟ وانفجرت قائلة :
[كيف استطعت ذلك ؟ هل يعني المال الكثير لديك ؟]
هز كتفيه وتحرك يسارا ليستند الى مجموعة أدراج وقال :
[اعرف انك الاخرى تضعين في تفكيرك الأولوية للمال]
وآلمها تلميحه وقالت :
[لكنني كنت صادقة معك ، إنني لم أحاول أبدا التظاهر بأنني أحبك لكنك كنت تعرف أنني كنت حتما سأرفض الزواج منك لو أنني عرفت ذلك الشرط على هذا الموقف الحاضر على الأقل . إن مابيننا الآن هو مجرد اتفاق عمل لاشيء آخر]
[لاتكوني حمقاء . لايهم كيف ولالماذا فأنت مازلت زوجتي]
[ما أظنك تتوقع ..] لكنها لم تكمل . وقفت الكلمات في حلقها وتولى عنها المهمة قائلا :
[أن أحصل على حقوقي الزوجية ؟ أنا لا أتوقع فقط . لكنني اريد الحصول عليها]
[كلا] وعلى رغم انه لم يتحرك تجاهها الا أنها انتفضت واقفة متأهبة للفرار وان لم تكن متأكدة الى أين .
[ليس لك الحق في ذلك]
[لي كل الحق ، إننا زوجان وهذا يعني أشياء كثيرة يبدو أنك نسيتها]
قالت بتوسل :
[براد أنا أعرف أنه ليس شرطا أن يقع الرجل في الحب لكي يعيشه لكن

الأمر مختلف بالنسبة الى المرأة ، انها يجب ...]

[لم يكن يبدو عليك عصر اليوم انك نافرة من الفكرة . إنني لم أتغير : مازلت الرجل نفسه الذي اقنعك في ذلك المقعد . أستطيع أن أجعلك تتجاوبين الآن يا ليزا]

ورأته يتقدم في اتجاهها ، ابتلعت ريقها وقالت [براد لاتجعلني أكرهك]

قال وهو يجذبها من كتفها :

[كراهية ؟ الم يخبرك أحد أن الحب والكراهية متقاربان ؟]

ورفعها بين ذراعيه واحتضن ذقنها بيده وأدار وجهها الى وجهه وتمددت في هدوء محدقة في العينين الرماديتين وقالت : .

[مارس حقوقك الشرعية يابراد اذا شئت ، انني لن أقاومك ، لن أعطيك هذه المتعة سأكون كتلة من الجليد]

وابتسم وضغط بأصابعه بقسوة حتى أمسك برأسها بلا حراك وقال :

[حتى الجليد يمكن اذابته]

وقاومت ليزا لكنها عادت وادركت ان ماقاله كان صوابا ، وان شيئا لم يتغير عما حدث عصر اليوم نفسه ، وانه مازال قادرا على اجتذابها وكان عليها ان ترغم نفسها على ادراك ان مايمنحها اياه ليس هو الحب ، وان كل ما كان يشعر به هو مجرد مايربط أي رجل بأية امرأة ، يكثفه التحدي الذي ألقت به في وجهه . وكانت هذه الأفكار وحدها هي التي جعلتها تحتفظ ببرودها حتى رفع رأسه أخيرا ، وجلس ناظرا اليها بعينين أوشك الشرر أن يتطاير منهما ثم استرد سيطرته ونهض فجأة وقال :

[أتمنى أن تستمتعي الليلة بفراشك الخالي !]

وخرج من الغرفة بعدما أغلق الباب بعنف .

٥ ـ من أجل اليسيا

عنما استيقظت ليزا كان الجو ممطرا عاصفا ولقيت في سريرها ساكنة مصغية الى صوت ارتطام المطر بالنوافذ ، وحفيف الأشجار المحيطة بالبيت . واعترت ذلك نذير شؤم ينبي بالتعاسة التي تنتظرها فى فارلي ، وأغمضت عينيها من جديد وقد استبد بها الاحساس بالوحدة : كيف تتصرف ازاء هذا الموقف الذي لاتستطيع احتماله ، ومع ذلك لم تكن تستطيع مغادرة المكان من أجل اليسيا . وسمعت صوت باب غرفة الملابس وهو يفتح ، وفتحت عينيها وانتظرت متوترة الحدث الجديد ووصلها صوت ينادي بهدوء ولكن في وضوح : [ليزا ؟]

وارادت أن تتظاهر بالنوم لكنها لم تلبث أن غيرت رأيها كان عليها أن تواجهه وسألت دون أن تتحرك : [نعم]

[يجب أن نتحدث وأعتقد أنك تفضلين أن يتم ذلك وأنت مستيقظة ومرتدية ملابسك]

[أفضل ذلك بالفعل]

[امامك عشر دقائق الساعة الآن الثامنة والنصف وهناك ماأريد أن أحسمه قبل الفطور]

وعاد الى غرفة الملابس مغلقا الباب خلفه . ورفعت ليزا الأغطية وقفزت من السرير ، أمهلها عشر دقائق وهذا يعني انها يجب أن تكون في الوقت المحدد تماما . وكانت واقفة أمام احدى النوافذ عندما دخل الغرفة بعد أن طرق الباب المشترك ، واستدارت لتواجهه في دهشة بعدما لمست هدوءه واتزانه على عكس حالة الليلة الماضية . ولم يحاول الاقتراب منها لكنه وقف وقد ارتسم تعبير مبهم على وجهه وقال دون مقدمات :

[سأعقد معك صفقة]

[أي نوع من الصفقات ؟]

[صفقة ضرورية . فكما أخبرتك فان أي انفعال يمكن ان تكون له اثاره الخطيرة على أمي ، واذا تنبهت الى ان زواجنا فشل قبل أن يبدأ فانها ستحزن كثيرا]

كان يتكم دون أن يبدو في صوته أثر للانفعال ، واستمر يقول :

[اذا أديت الدور معي أقصد اذا جعلت كل شيء يبدو ظاهريا على مايرام بيننا فانني أعد بألا أزعجك ابدا]

واصطبغت لهجته بشيء من التهكم وهو يستطرد قائلا :

[أعتقد أن ذلك ما تريدين ؟]

وحدقت فيه ، انها ليست ممثلة ، كيف اذن تستطيع أن تلعب الدور الذي يريد منها ان تقوم به لتخدع هؤلاء الذين سيرونها معا كل يوم ؟ الى متى ستستمر هذه المهزلة ؟ وراقبها بإمعان ثم قال :

[آل نروتون ليس في طبيعتهم التعبير علنا عن عواطفهم ولهذا يجب ألا تخافي من استغلالي لاتفاقنا على أي نحو ، هل هذا يطمئنك ؟]

ورفعت رأسها وقالت :

[بالتأكيد ولكن لابد من وجود حد لذلك فإننا لانستطيع أن نمثل طيلة العمر]

[لن نكون مضطرين الى ذلك فهناك أمر آخر لم أطلعك عليه : أمي لن تعيش أكثر من أربعة أو خمس أشهر ، إن صحتها تتدهور بسرعة]

وأحست ليزا بغصة وفجأة بدت لها متاعبها تافهة وسألت :

[ألا يمكن فعل أي شيء لانقاذها]

[حالتها تحتاج الى جراحة لكنها لن تحتملها .الشيء الوحيد الذي يمكن الاقدام عليه هو محاولة جعل الاشهر القادمة الأخيرة في حياتها سعيدة قدر المستطاع ، ومن أجل ذلك أريد مساعدتك]

وأدركت ليزا أن هذه الحقيقة وحدها لابد أن تجرح كبرياءه الأمر الذي كان يمكن أن يحقق لها بعض الرضى لكن هذا الأمر لم يحدث وبدلا من ذلك اندفعت قائلة : [حسنا يا براد سأحاول]

[سأكون في غاية الامتنان] ونظر الى ساعة معصمه وقال :

[انها التاسعة إلا خمس دقائق هيا ننزل]

كانت فيليسيا قد استقرت في مقعدها على المائدة عندما دخلا غرفة الطعام ونظرت اليها متفحصة وقالت :

[صباح الخير أرجو أن تكونا قد حصلتما على قسط كبير من النوم بعد رحلتكما]

كيف كانت ليزا تتوقع من براد ان يعامل المرأة التي أفسدت عليه خطته ؟ لم تكن متأكدة حقيقة ، لكنها لم تكن تتوقع منه أن يتسم لها كأن شيئا لم يكن ، وفي الوقت نفسه يرد نيابة عن كليهما :

[نعم ، شكرا ، هل رأيت أمي هذا الصباح يا فيليسيا ؟]

وبدت ابنة عمه مرتبكة كان من الواضح أن ذلك لم يكن رد الفعل الذي توقعته هي الآخرى وبعد لحظة قالت :

[نعم مررت عليها في طريقي الى هنا وأخبرتني أنها تشعر بتحسن كبير] ونقلت بصرها بينهما ثم قالت :

[ماذا ستفعلان في مثل هذا اليوم أنكما بالتأكيد لن تستطيع الخروج ، أعتقد انك ستأخذ الأسبوع القادم أجازة يا براد لتتمتع بها مع ليزا]

[أخذت الأسبوع الماضي أجازة ولن أستطيع حاليا أخذ المزيد من الاجازات ، أما بالنسبة الى اليوم فإن في البيت الكثير مما يجب على ليزا أن تراه] اتجهت بابتسامة فاترة نحو ليزا وهي تقول :

[بالطبع أنت مهتمة بمثل هذه الاشياء أليس كذلك ؟]

وكانوا قد انتقلوا الى غرفة الجلوس بعد الانتهاء من تناول الافطار وهمت فيليسيا بالانصراف قائلة :

[سأترككما للقيام بهذه المهمة]

لكنها وقفت والتفتت في بطء لتنظر مباشرة الى براد . كان في عينيها تحد وهي تقول :

[اعتقد بأنه بات علي أن أعود الى بيتي ؟]

[هذا أمر متروك لك يا فيليسيا ستكونين على الرحب اذا شئت ان تمددي اقامتك في فارلي]

ومرة أخرى بدت المرأة حائرة ، مرتبكة ، وبحثت عن وجهه ثم نظرت الى ليزا كما لوكانت ظنت أنها تستطيع أن تلمح فيه أي تعبير ، ولكن ليزا حرصت على الاحتفاظ بتعابيرها صماء . وأخيرا قالت فيليسيا :

[لست متأكدة تماما من خططي الآن]
وعادت تنظر الى براد وفجأة لمع بريق في عينيها وأضافت :
[قد أبقى لفترة أطول]
وأومأ بالموافقة دون كلام ثم استدار نحو ليزا قائلا :
[أمي تريد أن تراك مرة أخرى هذا الصباح . هل نصعد اليها الآن ؟]
القت ليزا نظرة خلفها عندما وصلت مع براد الى رأس السلم متوقعة ان ترى ملامح الانتصار على وجه فيليسيا لكن الصالة كانت خالية . وفكرت في ان المرأة الآخرى قد تحقق لها بالتأكيد ماكانت تطمع فيه ، فقد جعل براد الامر واضحا ، فهو برغم دخول زوجة الى حياته إلا انه لايمانع في الاحتفاظ بالشقراء الجميلة في البيت . وكان في دعوته فيليسيا للبقاء ماسببته له من متاعب مايؤكد شكوك ليزا في وجود علاقة سابقة بينهما ، علاقة ربما فكر في استئنافها من جديد في ظل الظروف القائمة بينه وبينها . أو أنه قد لايكون قطعها أبدا . قالت فيليسيا أنه عرض عليها الزواج منذ أسابيع وأنها رفضت ، ربما اعترضت هي الآخرى على دوافعه ، ولهذا انطلق يبحث لنفسه عن آخرى يفوز عن طريقها بالميراث . ووقف براد خارج غرفة امه وفوجيء بموقف ليزا وقال :
[حاولى أن تكونى طبيعية في تمثيلك. أمى قد تكون مريضة ولكن لاخلل على الاطلاق في قدرتها على الملاحظة. لن تتوقع منا أن نتعامل كعصفورين عاشقين لكنها ستجد الامر شاذا للغاية أذا نفرت مني على هذا النحو كلما اقتربت منك.]
أرغمت ليزا نفسها على الالتقاء بعينيه، وقالت في هدوء:
[لن أخذلك لكننى أفعل ذلك من أجلها يا براد وليس من أجلك.]
قال بصوت فاتر:
[ذلك لان ما من شخص باستثناء أخيك، يستطيع أن يحرك في أعماقك شعورا صادقا.]
وفتح الباب قبل أن تستطيع الرد.
كانت اليسيا جالسة في الفراش، مستندة بظهرها الى الوسائد، وكان شعرها الاشقر الناعم مربوطا بشريط وردى، وقد ارتدت سترة فراش ذات كشكشة ناعمة حول العنق، وكانت تبتسم بمرح، لكن خطوط الإجهاد كانت حول

عينيها. وظلال التعب القاتمة كانت واضحة فيهما:
[مرحبا ياعزيزتي. أنك أجمل مما ظننتك البارحة.ياله من تحول فظيع في الطقس اليوم. هل سيعوق ذلك خروجكما للنزهة في مالهمدال يابراد؟]
[نعم لكننا سنفعل ذلك في وقت آخر.] وجلس على طرف السرير وراء ليزا، وأسند يده بخفة فوق كتفيها، وسأل:
[هل سيزورك الطبيب اليوم؟]
[لن يحضر قبل العصر، لذلك كنت أفكر في النهوض لتناول الغداء.]
[عليك أن تعيدي التفكير في ذلك. أن ستيوارت سيخبرك متى يمكنك مغادرة الفراش، وحتى ذلك الحين ارجو الاتتحركى وأدارت وجهها في اتجاه ليزا قائلة:[لا تدعيه أبدا يضعك تحت سيطرته.]
ثم قالت له:
[أحب أن أتحدث قليلا مع ليزا. أريد أن أكتشف ابنتى الجديدة بنفسى. هل يمكنك أن تسلى نفسك لمدة عشر دقائق؟]
[أعتقد أنه لابد لي من ذلك فعندما تجتمع النساء يصبح وجود الرجل غير ضرورى. سأكون في مكتبى ياليزا، ولاتدعي أمي تطيل معك الحديث أكثر من عشر دقائق.]
واستندت اليسيا الى الوسائد وقالت:
[هل لديك مانع أن نتحدث عنك؟لم يخبرنى براد عنك هاتفيا إلا القليل. كل ما أعرفة أنك فقدت والديك عندما كنت صبية، وأنك كنت تدرسين لتصبحى مهندسة معمارية. وقال أنكما تقابلتما عند آل مارتشبانك، أنهما زوجان لطيفان اليس كذلك؟]
ردت ليزا ضاحكة: [للغاية .]
وشاركتها اليسيا الضحكة قائلة:
[إنه على حق. انا أتكلم كثيرا. كان زوجى يقول دائما أننى أستغرق في توجيه الأسئلة حتى أن أحدا لايجد فرصة للرد ولكن أعدك بالسكوت لمدة خمس دقائق على الاقل أثناء كلامك عن نفسك.]
وحدثتها ليزا عن نفسها وأغلقت الكثير مما يخص ريك وقالت اليسيا عند انتهائها: [تعرفت الى براد قبل أن تقررا الزواج بمثل هذه السرعة، الأمر الذى يدل على اننا لانعرف أبدا حقيقة أقرب الناس الينا.]

تساءلت ليزا هل يمكن لامرأة أن تعرف زوجها حقيقة؟ اعتقد أنها في سبيلها الى معرفته بعد تلك المدة في لندن لكنها كانت واهمة. أن الرجل الذى عرفته حينذاك، لا علاقة له بذلك البارد الذى يشبه الآلة الحاسبة الذى اكتشفته هنا. كانت على وشك أنْ تهتم به لكن الليلة الماضية غيرت كل ذلك. ما باتت تشعر به كان مزيجا من الكراهية والمرارة والخوف. كم سيمضى من الوقت قبل ان ينسى صفقتها، ويكرر محاولة الليلة السابقة لإخضاعها؟ واذا اقدم بذلك فإلى متى ستظل قادرة على صده ومقاومته، وهى التى تعرف وتحس أن مجرد لمسة منه تجعلها راغبة في نسيان كل شيء؟

سألتها اليسيا:

[لماذا تفكرين؟ يبدو عليك اليأس.]

ارتبكت ليزا وردت:

[كنت أفكر في أخي. صدقت عندما قلت أننا لانعرف حقيقة القريبين من.]

[أفهم من ذلك أن أخاك مصدر قلق لك؟]

ورفعت يدها واستطردت قائلة:

[لاتحاولى الإجابة عن ذلك ما كان يجب أن أوجه اليك أسئلة شخصية وترددت ثم قالت:[هل تمانعين يا ليزا في مناداتى يا أمى سأكون في غاية السرور لو فعلت.]

وفكرت ليزا وهى تبتسم. أن الأمر أكثر صعوبة. ولو أن الأمور سارت على نحو مختلف ، لكان من أيسر الأشياء في الدنيا مناداة هذه السيدة بلفظ الأمومة . ولكن في ظل الظروف الراهنة لم تشعر أن ذلك من حقها وبرغم ذلك قالت برقة :

[مضى وقت طويل على عدم استعمال هذه الكلمة وسيستغرق اعتيادي عليها من جديد بعض الوقت ولذلك أرجو أن تغفري لي اذا نسيت أحيانا]

وأحنت رأسها ولمست بشفتيها الجبين المرفوع وقالت [يجب أن أذهب]

ولم تكن ليزا راغبة في اللحاق ببراد في مكتبه لكن قد طلب منها ذلك . وسارت في الممر حتى وصلت الى نهايته وترددت ثم طرقت الباب وصاح براد [آدخل]

ادارت المقبض ودخلت ، كان واقفا امام لوحة الرسم يدرس مابدا لها أشبه

بمجموعة من الرسوم . وكانت الغرفة كلها مفاجأة لها . توقعت مكانا غاية في النظام ، مع شيء من التزمت في اختيار الأثاث لكنها وجدت أوراقا وكتبا مبعثرة فوق المكتب ووجدت الأثاث مرحا ومريحا . قال براد في شيء من الجفاء : [تبدين مرتبكة . ماذا توقعت ان تري ؟]

[هذا المكان لايشبهك]

أطلق ضحكة قصيرة وقال :

[كيف لك أن تعرفي الغرفة التي تعكس شخصيتي؟ من يفعل ذلك يجب أن يعرف الشخص ويفهمه وأنت لا تفهمين حتى نفسك]

[ماذا تعني ؟]

هز كتفيه قائلا :

[ربما تكتشفين ذلك يوما مالو كنا بالفعل صادقة مع نفسك . وحتى ذلك الحين دعينا ننسى الامر]

ولكن هل تستطيع ان تنسى ؟حتى لو تخلى عنها براد بعد ان يستنفد الهدف من وجودها . فأي ذكرى هذا الزواج الذي قام على المصلحة ستظل حية بقية حياتها . وسألت محاولة أن تبدو طبيعية :

[هل هذه هي الرسوم المقترحة للبيت ؟]

[نعم هل تودين رؤيتها ؟]

[أرجو ذلك]

وتحركت لتقف قربه ، وقد تصلب كيانها لوجودها على مقربة منه وبعد لحظة قالت بصوت خال من التعبير :

[تبدو مختلفة تماما عن أية رسوم رأيتها]

[بالطبع] ان الطريقة العادية فى جمع القياسات المتنوعة في التصميم الكامل ، قد لاينتج عنها الا الفوضى في مثل هذه الحالة . اعتقدت انك تفهمين ذلك]

هزت رأسها وقالت : [لاأستطيع أن أدعي الإلمام بكل شيء عن التصميم]

[الأفضل أن نوسع آفاق معرفتك . سترين انني بدأت بوضع تصميم للسقف على حدة . أربعة سقوف في حالتنا تمثل وحدة متكاملة في تاريخها المعماري] ومضى يشرح بالتفصيل وأصغت له وتابعت باهتمام وبدأت تقدر الجهد الكبير الذي بذله ليس في التصميم والرسم فحسب وانما في البحوث

التاريخية التي أجراها لخدمة هدفه الرئيسي . وبدأ لها براد واحدا من القلة المتفانية في عملها المتخصصة في دراستها . بالطبع كان جزء من اهتمامه يعود الى كون فارلي بيته ولكن حتى مع وجود هذا الاعتبار فان رجلا يكرس ستة أشهر من أوقات فراغه لمثل هذه العمل كان يستحق الإعجاب . وعندما انتهت من شرحه قالت :

[الآن أعتقد أنه من المهم العثور على الرجال المناسبين للأعمال المختلفة هل في ذهنك أحد ؟]

[انني محتاج الى رجل ممتاز في عمله وأعرف بالضبط من اريد . لكن المهم هو التعاقد معه ، لقد تدرب لدي روبرت ثومبسون نفسه ومازال يعيش في كيلبرن]

[روبرت ثومبسون ؟ أليس هو الذي يتخذ الفأر رمزا له ؟ الم يرسل أحدهم ذات مرة رسالة من استراليا وعلى الظرف مجرد فأر مرسوم مع كلمة يورك . انكلترا . ووصلت الرسالة الى صاحبها]

[نعم هذا صحيح تماما ان شهرته عالمية]

واستمر براد يدرس التصاميم وقال :

[وعلي أيضا التعاقد مع الكهربائيين . أدخل أبي الكهرباء منذ خمسة عشر عاما وحسب معرفتي فأن احدا لم يكشف على هذه الخطوط منذ ذلك الوقت الا مرة واحدة]

[وبالطبع خشب البلوط يفرز حامض التنيك ، وهذا يمكن ان يفسد حتى الغطاء الرصاصي للكابل الكهربائي]

[بالضبط ومجرد احتكاك بسيط يمكن ان يشعل نارا تأتي على البيت كله] وضع براد القلم الذى كان يرسم به وسألها :

[هل تريدين مشاهدة بقية البيت ؟]

[اذا كان لديك الوقت لذلك]

[لم يكن من المتوقع ان اعمل اليوم وامامنا ساعة ونصف ساعة قبل موعد الغداء]

استغرقت ليزا وقتا أقل من ذلك بكثير لتكشف المهمة الكبيرة التي أخذها براد على عاتقه لتجديد البيت . وكما كان أخبرها ، فأن أيام فارلي كانت معدودة ، مالم يبدأ العمل جديا وبسرعة في عمليات الترميم . كانت الرطوبة

تمثل اسوأ الأخطار . وقبل البدء في أي عمل آخر كان لابد من معالجة الأجزاء التي أصابتها الرطوبة بالضرر .وكانت غرف الجناح الجنوبي فقط هى المفروشة وفيها جمعت كل مخلفات أجيال آل نورتون المتعاقبة من القطع الأثرية الثمينة . وعندما رأت اليدين القويتين تتحركان بحرص ورقة فوق سطح خزانة من خشب الورد ، أحست ليزا بغصة في حلقها وابتعدت بسرعة : هل كان من الممكن ان تشعر بالغيرة من قطعة أثاث صماء ؟ جذبت النافذة نظراتها . كان المطر مازال منهمرا لكن العاصفة كانت قد هدأت بعض الشيء وقالت : [لا أعتقد أن زوارا سيحضرون اليوم]

[كلا بعد عطلة نهاية الاسبوع هذه لن يحضر أحد البتة . ليس في هذا الموسم . سيعفينا ذلك من المتفرجين وهواة اللمس والاختبار . سيكون امامي عمل شاق ومحاولة للتوفيق بين روتين عملي العادي والعمل هنا . اتصلت صباح اليوم بشريكي وأخبرني أننا تعاقدنا للعمل مع عدة مكاتب جديدة وهذا أمر يدعو للرضا بالطبع . لكنني حاليا في حاجة الى فترة راحة]

وسألت بتردد :

[ألا يمكنني المساعدة ؟ أعني لو انك شرحت لي بالضبط المطلوب عمله فإنني أستطيع مراقبة سير العمل . لن يحتاج ذلك الى خبرة كبيرة]

ابتسم براد ساخرا وقال : [هل الأمر بمثل هذه البساطة ؟]

احتقن وجهها وهي تقول : [لم أقصد ..]

[اني متأكد من ذلك لكن كنت جادة في رغبتك في المساعدة فلا يضايقني الاعتراف بانك يمكن ان تكوني مفيدة . سنناقش ذلك فيما بعد]

حتى تلك اللحظة كانت ليزا تعتقد انه قد يختار بهذه الطريقة ليرد على موقفها منه الليلة السابقة ، حائلا بينها وبين القيام بأي دور حقيقي في عملية ترميم البيت . لكنها عادت وأدركت ان أية محاولة انتقام من جانبه لا يمكن أن تهبط الى هذا المستوى من الحقد الاعمى .

٦ ـ الكوخ

كانت الايام التالية هي الاطول بالنسبة الى ليزا فقد كان الجو سيئا اضطرها الى ملازمة المنزل مع اليسيا التي لم يسمح لها الطبيب بمغادرة الفراش .وفي أصيل يوم الثلاثاء شعرت ليزا انها لم تعد تتحمّل الجو المتوتر مع فيليسيا فارتدت المعطف الواقي للمطر وخرجت لتتمشى . لايهم الى أين وانما المهم أن تهرب لفترة من المرأة الآخرى . وفي مثل هذا الجو كانت فارلي بصفة خاصة تبدو معزولة عن العالم الخارجي ، الضباب الرقيق يلف الحدائق ويكتم الاصوات الناجمة عن حركة المرور القليلة التي تشق سبيلها على الطريق الوحيد التي تبعد مسافة نصف ميل ، وتخفي المشهد الرائع لكرافن هايلانذر . وقد بدا الطريق في ذلك اليوم اطول وأكثر تعرجا واتخذت الشجيرات التي تحف بها أشكالا غريبة .

وتوقفت عند نقطة ينعطف منها ممر ضيق متجها الى اليمين عبر الأشجار ويختفي في غلاله رقيقة من الضباب . وبعد برهة واصلت السير فيه ، تجر قدميها المتثاقلتين وتطأ بهما البقايا المشبعة بالندى للأوراق المتساقطة من الأشجار . كان الصمت يلفها . ربما كانت هي الكائن الحي الوحيد في مثل هذه الظروف في اطار يبلغ المائة ميل

لابد انها سارت نحو خمس دقائق قبل أن ترى الكوخ يظهر امام عينيها وسط الضباب . كان يقوم في وسط حديقة صغيرة مسورة . وكان هناك ضوء منبعث من النافذة الامامية . دفعت ليزا البوابة البيضاء المنخفضة ومضت عبر الممر الى الباب الامامي وطرقته بنعومة . لم تكن لديها فكرة عما ستقوله لسكان الكوخ . شعرت بانها تريد ان تتحدث مع شخص ما خارج فارلي .

ويبدو ان الباب لم يكن مغلقا جيدا ، فبمجرد ان لمسته انفتح ليكشف عن غرفة مائلة السقف تبدو دافئة ومريحة وفيها مدفأة نارها موقدة . وقد فتحت في

حائط منها نافذة ضخمة ، تحتها لوحة نصف متكاملة لمنظر طبيعي وكانت هناك لوحات زيتية اخرى مرسومة على القماش ومعلقة على الجدران ، فضلا عن لوحة الوان الرسام ملقاة على كرسي .ودون ان تتوقف لتفكر مضت ليزا الى الداخل ، وأغلقت الباب بهدوء على الضباب المنتشر في الخارج واتجهت الى اللوحة لتراها عن كثب .

قالت لنفسها وهي تتأملها ، انها ممتازة تذكر بأعمال فان غوغ من حيث الطريقة التي يوزع بها الفنان الوانه .وقالت بصوت مرتفع:

[أنني معجبة بها]

[شكرا لك]

فوجئت بالصوت فاستدارت سريعا لترى رجلا يقف في مدخل الغرفة وينظر اليها في تأسسسمل تلوح عليه علامات السرور . وبرغم بقع الالوان على سترته الزرقاء القديمة فان الفكرة الاولى التي خطرت لليزا هي انه لايمكن ان يكون هو من رسم اللوحة الموجودة وراءها . فهو لايشبه الفنانين في شيء .كان يكبر براد بحوالي خمس أو ست سنوات ، وكان شعره البني يصطبغ بلون رمادي عند سوالفه ، ويضفي على ملامحه المتناسة نوعا معينا من التناغم . قالت ليزا :

[أنا اسفة . أنني أعرف أني قد تجاوزت حدي ، لكن الباب كان مفتوحا وسأذهب حالا]

[ليس هناك داع لهذا .أعددت بعض القهوة هل تريدين قليلا منها ؟]

ونظرت اليه ليزا بحذر فهي تدرك ان الموقف غير مألوف . لكن عينيه الزرقاوين اللامعتين طمأنتها ووجدت نفسها تبتسم له و تقول:

[انها تعجبني كثيرا]

واستدار فورا ، واختفى في الغرفة المجاورة وهو يقول لها :

[علقي معطفك خلف الباب . سأعود خلال دقيقة واحدة]

وبدا اقتراحه معقولا . كانت الغرفة دافئة ومعطفها رطبا للغاية فخلعته وعلقته فوق سترته الفرائية ذات القلنسوة الرثة .وعندما عاد كانت تجلس في مقعد خشبي بجوار المدفأة . وأخذت منه الكوز السميك ذا اللونين االابيض والازرق وهي تشعر بالامتنان ، بينما كان يقول لها :

[آسف لا أستطيع أن أقدم لك شيئا افضل من هذا]

[إنها جيدة]

ورفعت الكوز الى شفتيها ورشفت رشفة من السائل الساخن قشدي اللون ، وهي تدرك أنه يركز بصره عليها ، وأضاف قائلا :

[أنا ليوك بلاند وأنت لابد أن تكوني السيدة نورتون الجديدة . ما الذي جعلك تخرجين في يوم كهذا ؟]

واستدارت برقة وهي تخفض بصرها الى النار المشتعلة وقالت :

[شعرت بأني أريد أن أتمشى فأنا لا أبالي بالمطر]

[لكن السيد براد يبالي حسبما أعتقد]

[لكنه ليس في البيت ولن يعود قبل السادسة] وتأملت الغرفة ثم قالت :

[إنها جميلة يا سيد بلاند]

قال وهو يغوص في المقعد ويسند ظهره الى حجر المدفأة :

[ليوك من فضلك فأنا لا أحب الرسميات]

وأومأت موافقة وهي تحس باسترخاء لـ انه انسان لطيف على نحو مريح . وفجأة شعرت بسرور بالغ لانها وجدت الكوخ ودخلته . فهي تجلس هنا بعيدا عن التوتر السائد في فارلي كما لو كانت في عالم مختلف . فقد استطاعت لفترة وجيزة أن تنسى الايام القليلة الماضية وأن تستعيد نفسها . ونظرت من النافذة وهي تحاول أن ترى الصورة العامة لمثل هذه البقعة المنعزلة في اعماق الشتاء وهي تقول : [هل تعيش هنا طوال العام ؟]

[ان الأمر بهذا السوء على الدوام . أنني أمون نفسي بكمية كافية من الطعام المعلب تكفيني لعدة أسابيع ، وبذلك أحقق الاكتفاء الذاتي ، حتى بالنسبة للناس فأنني حتى في الصيف لأرى أحدا لأيام طوال ، فلا أبالي . فالناس عادة يجلبون الملل . وقالت وهي تبتسم :

[اذن علي ألا أبقى بعد انتهاء وقت الترحيب بي]

[يمكن أن تكوني من الاستثناءات القليلة . فأنت لديك القدرة على الاستمتاع الهاديء الذي لايتطلب من جانبي أي جهد خاص]

وسألت فجأة : [كيف عرفت اسمي]

[الجميع يعرفونه . فمازالت عودة براد الى فارلي بعروسه الجميلة هي الموضوع الوحيد للحديث في القرية]

[أنا لست جميلة !]

وتأملها بتمعن للحظة ثم قال :
[قد لا تكونين خاطفة للأبصار وفق بعض المعايير لكن الجمال يتحدد حسب العين التي ترى . ان لك قواما راذعا وعينين مدهشتين ، وأنا أحب أن أرسمك]
[تحاول أن ترضي غروري !]
[لايمكن ألا أن اهتم بك . إنك تأسيرينني . فأنت شابة وفاتنة وعروس . كل ماتريد المرأة ان تكونه ، ومع ذلك فأنت لست سعيدة]
[بالطبع أنا سعيدة . وأعتقد أنك تركت لخيالك العنان . علي أن أذهب قبل أن يشتد المطر مرة ثانية]
[أنا اسف . تعودت أن أقول ما أعتقده دون مراوغة وهذه ليست على الدوام عادة طيبة . أعدك بأن أهتم بشؤوني فقط لو بقيت وأكملت قهوتك]
وجلست تنظر اليه وهي تدرك انها تريد ان تبقى وانه هو ايضا يعرف ذلك وأخيرا سألته : [كيف عرفت براد ؟]
أخذ رشفة من القهوة قبل ان يقول :
[أنا لا أعرفه جيدا . ان ايجارهذا المكان يدفع من خلال محاميه في براد فورد ، وعلى هذا فلست مضطرا للذهاب الى المنزل . ونادرا ما يأتي هو الى هنا . واذا جاء فانه لايبقى طويلا ويكتفي بالسؤال عما اذا كان كل شيء على ما يرام . وهو لا يضايقني وأنا لا أضايقه . أعتقد أنه يمكن القول انه أمر مقبول من الطرفين]
بالطبع هذا مايرضي براد . تستطيع ليزا أن تتصور هذا فليس هناك شيء مشترك يربطه بالرجل الجالس قرب قدميها باستثناء حبه للفن . وادركت أن مجيئها الى هنا هذا الاصيل لن يرضي براد لو أخبرته .
[هل أستطيع أن أرى بعض الاعمال]
[تفضلي]
مشت الى أقرب اللوحات الزيتيه وبدأت تتفحصها الواحدة بعد الاخرى . كانت الالوان تقفز في فرح من كل لوحة ، غروب الشمس ينشر أجنحة من اللون القرمزي عبر سماء زبرجدية ، صخور منحدرة متغضنة تلقي ظلالا ارجوازية على الخضرة المورقة للوادي ، المياه تندفع بغزارة نازلة من على جانب التل ، وكل نقطة فيها تحلل أشعة الشمس الى الوان الطيف ، وكانت هذه

اللوحة واقعية الى حد جعلها تشعر كأن الرذاذ يداعب وجهها . وهتفت في اعجاب : [انها رائعة ، هل بعت شيئا منها ؟]

. وقال وهو جالس في مكانه :

[قليلون يشقون طريقهم الى هنا . لكن لي صديق حميم في ليدز يدير صالة عرض . وهو يعطيني هذه الصالة أسبوعا في كل خريف ، وعادة لا تكون الامور سيئة]

[وتعيش من الحصيلة حتى العام التالي ؟]

[ليس تماما . فأنا محظوظ لأني مستقل ماليا بقدر كاف ومعقول يسمح لي بأن أرسم ما أحبه وألا أبتذل وأهبط الى مستوى سوقي . ولا يعني ذلك أني أدين أولئك الذين يكسبون عيشهم من استغلال السذاجة العامة]

وبعد ذلك صمت ، كذلك فعلت ليزا بل وسرحت حتى تناست وجوده . وفجأة قال لها بهدوء :

[كنت جادا تماما عندما قلت لك أني أود أن أرسمك . هل تجلسين أمامي لبعض الوقت؟]

واستدارت لتنظر اليه وهي تقول :

[لا أعتقد أن رسم الاشخاص يدخل في الخط الذي انتهجته لنفسك]

[انه ليس كذلك . على الاقل ليس بالطريقة التي تعنينها . استخدمت كلمة تجلسين بأوسع معانيها . فأنا أتخيلك تجلسين ووراءك خلفية من اشجار الصفصاف المكسوة باللون الاخضر حتى يمتزج جسمك معها ويصبح وجهك موضع التركيز . بل اني أعرف الموقع الذي أريده ، انه يبتعد فقط بضع مئات من الياردات عن بابي الخلفي . ان ذلك طبعا يختلف عن أسلوبي المعتاد ، لكن على كل حال الانسان يجرب شيئا جديدا بين الحين والآخر . هل ستتيحين لي الفرصة يا ليزا ؟]

وقالت وهي تفكر في العمل الذي سيبدأ في فارلي في الاسبوع التالي :

[لا أعرف ما اذا كان الوقت سيسمح لي بذلك]

[ربما نستطيع أن نتحدث في ذلك مرة ثانية . ليس هناك وجه للعجلة . لدينا ما تبقى من فصل الصيف]

وضعت ليزا الصورة التي كانت تحملها في مكانها وهي تقول :

[نعم . علي أن أذهب الآن . بلغت الساعة الخامسة]

ووقف ليوك وهو يقول :

[سأسير معك جانبا من الطريق كجزء من رياضتي اليومية]

وجالت بيصرها مرة اخرى في الغرفة التي تشع مودة قبل أن ترحل ثم رفعت ياقة المعطف وتبعته . ولم يتحدث أي منهما وهما يعبران الممر تحت الاشجار التي تتساقط منها قطرات الماء ، لكن لم يكن هناك أي توتر في هذا الصمت . وبدا الامر كما لو كانا يعرفان بعضهما البعض منذ وقت طويل .

وافترقا عند النقطة التي يلتقي فيها الممر بالطريق . وبرغم أنه لم يقل شيئا ، فقد كانت تدرك ليزا أنها ستلاقي الترحيب في الكوخ في أي وقت تود الذهاب اليه . لقد وجدت في ليوك بلاند صديقا ، وهذا ما جعلها تشعر بالارتياح . وعندما دخلت الى المنزل كان براد خارجا من الردهة . كان يرتدي معطفا للمطر ، وتوقف عندما رآها واقفة في المدخل وقال في برودة :

[كنت ذاهبا للبحث عنك . هل تدركين انك تغيبت سلعتين تقريبا . أين كنت ؟]

[أتمشى] قالت هذا وهي تغلق الباب بحرص ، مصممة على الا تقول لبراد شيئا عن زيارتها للكوخ .

وتأملها مليا وهو يقول : [أين ؟]

فردت وهي تحرك بيديها بصورة غامضة :

[في هذه الانحاء فقد كنت محتاجة للترويح عن النفس]

[لم يمض وقت طويل على وجودك هنا . وأنا لم أكن موجودا لتهربي مني]

فقالت بحدة وهي تستدير لتعلق معطفها :

[لم أكن هاربة بل كنت أتمشى]

[لاتلعبي دور الأبله معي يا ليزا . هناك حدود لما أتحمله منك]

[حدود لما تتحمله . ألا تفكر في غير نفسك يا براد ؟]

وتقلص فمه ولم يلبث أن قال بصوت ناعم :

[ربما كان من الافضل ألا أفعل]

وسادت لحظة من الصمت المتوتر ثم مضى من باب الردهة وهو يقول :

[شعرك مبتل . إذهبي وجففيه قبل أن تصابي ببرد . هناك نار موقدة في غرفة النوم]

ومضت ليزا صاعدة الى غرفة نومها حيث خلعت ملابسها بصورة آلية

وارتدت روبا ثم مضت الى الحمام حيث لفت رأسها في منشفة وأخذت تحكها بها بقوة حتى غدا شعرها جافا . وطردت كل الافكار من ذهنها ، فقد كان التفكير مؤلما .

استحمت وارتدت رداء صوفيا لونه أصفر شاحب ، وعندئذ سمعت الباب الخارجي للغرفة يفتح ويغلق . وركزت انتباهها على صورتها في مرآة طاولة اللبس ، ووضعت أحمر شفاه بيد مرتعشة قليلا ، وانتظرت أن يغلق الباب الموصل ، دون أن يحدث هذا . فما كان منها الا ان واصلت وضع أحمر الشفاه وأسندت رأسها على يديها . وأستغرقت في التفكير بعمق . الى متى ستمضي الامور على هذا النحو ؟

وكانت المياه لاتزال تتساقط في الحمام عندما مضت الى الدهليز . كانت الساعة لاتزال السادسة والنصف . مازالت هناك ساعة للعشاء ما الذي تستطيع أن تفعله حتى ذلك الحين ؟ ان غرفة الجلوس مستبعدة لأن فيليسيا قد تكون هناك . وحتى اذا لم تكن فإن براد سرعان ما يحضر ، وهي لاتريد أن تكون وحدها معه في حالته الراهنة . لم يكن امامها غير اليسيا .

كانت حماتها تجلس في الكرسي المريح ذي المساند قرب المدفأة تطرز مفرشا لكرسي في غرز متمهلة مدققة . وابتسمت لليزا مرحبة عند دخولها الغرفة وهي تقول : [ماذا فعلت هذا اليوم ؟]

[القليل ، ماذا تفعلين ؟]

[مفرش لأحد كراسي غرفة الطعام ، إنها في حالة سيئة . لقد صنعت ستة مفارش ، وهذا السابع . إني أعمل بصورة بطيئة هذه الايام . هل تحبين شغل الابرة يا ليزا ؟]

[إنني لا أستطيع حتى أن أرتق جوربا دون أن أتلفه . لذلك كان ريك يفضل شراء جوارب جديدة]

[هل وصلتك أنباء عن أخيك ؟]

هزت ليزا رأسها ومدت يدها بحجة أنها تستدفيء بالنار برغم أن الغرفة لم تكن باردة على الاطلاق وهي تقول :

[ريك ليس من هواة كتابة الرسائل]

[ليس هناك رجل يحب هذا . عندما يكون براد مسافرا فإنه يفضل استخدام الهاتف على أن يخط حرفا . لكنني شخصيا أكره هذا الاختراع . فالانسان

يتذكر دوما مئات الاشياء بعد انتهاء المكالمة . أما الرسائل فتقول الكثير ويمكن استعادة مافيها مرات عدة]

لكن ريك لن يكتب . كانت ليزا متأكدة من هذا . فهو ايضا يفضل التقاط سماعة الهاتف والاتصال بالناس ، لكن من المشكوك فيه أن يعتبر أخته جديرة بشيء من الاهتمام . ربما لم يفكر فيها على الاطلاق في الايام الاولى لحريته الكاملة . بالطبع هى تستطيع أن تتصل به هاتفيا ، لكن ذلك سيكون الحل الاخير . ،مهما كانت الاعذار التي قدمها عما تفوه به في تلك الليلة ، فلابد ان المشاعر التي جعلته يقولها كامنة في داخله . والجرح مازال باقيا في داخلها هي . في أي حال فان ما فيها يكفيها وليس هناك مجال لأن تنشغل على أخيها . وسألتها اليسيا :

[أين براد الآن ؟ توقعت أن يأتي معك]

[تركته يغير ملابسه استعدادا لتناول العشاء . الم تريه بعد ؟ عاد في نحو الخامسة ؟]

[بل قبل ذلك ، فقد جاء الى ليري اذا كنت أنت هنا ، لكنه لم يمكث طويلا . أعتقد أنه يبدو غريبا نوعا ما . هل تشاجرتما]

ردت ليزا بسرعة قائلة :

[كلا بالطبع . ذهبت لأتمشى هذا الاصيل ، وبقيت في الخارج مدة أطول مما كنت اتوقع . وكان براد خارجا للبحث عني عندما عدت الى المنزل]

[تتمشين في مثل هذا الجو ؟ لابد أنك تبللت بالماء ؟]

[كلا لم يحدث هذا ، فقد اتقيت المطر خلال هطوله الغزير . ومضيت أتفقد المنطقة . ألن يكف هذا المطر عن ازعاجنا ؟]

وابتسمت اليسيا في ود وهي تقول :

[لم يكن هذا تقديما طيبا لموقعنا هذا من العالم ، أليس كذلك ؟ لكنك سترين مفاجأة سارة عندما تستيقظين في الصباح . لقد كانت الريح تدور الى الجنوب الغربي في وقت الاصيل أمس ، وهذا يعتبر بشيرا بتغيير الطقس الى الافضل في أي حال فنحن نأمل هذا . قال لي براد أن الرجال سيجيئون الى هنا غدا ليبدأوا العمل]

[غدا / فهمت ان ذلك سيتم في الاسبوع القادم]

[ألم يقل لك بعد ؟ من الواضح انه يحاول أن يعجل في العمل عما كان

مخططا . ان ما تستطيع النقود أن تفعله أمر يدعو للدهشة . عندما كانت خزائن آل نورتون خاوية ، وليس لديهم سوى ما يمكنهم من العيش ، كان علينا أن ننتظر أسابيع حتى يتم القيام بأبسط عمل نطلبه ، لكن الآن وقد أثرى براد فالامر مختلف . والناس في هذه الانحاء وسائلهم في نشر الاخبار وتقصي المعلومات ومحاولة الاستفادة . لكني أومن بأن هذه الثروة الجديدة التي هبطت على براد لم تكن هي التي جذبتك اليه إطلاقا . أليس كذلك يا حبيبتي ؟]

وترددت ليزا غير واثقة تماما من الطريقة التي يجب أن ترد بها على السؤال ، ثم قالت ببطء :

[انها ضرورية لفارلي ولهذا السبب فأنا مسرورة لأن جده ترك له النقود]

وأضافت اليسيا بصوت حنون : [لكن النقود في حد ذاتها لاتعني الكثير بالنسبة اليك . لقد تزوجت براد دون أن تعرفي شيئا عن ميراثه . نعم ، قال لي هذا الليلة الماضية . وأنت لا تحبينه من أجلها . إن إبني رجل محظوظ اذا تحقق له الاقتران بك يا ليزا . ان النقود تفعل الكثير لكنها لايمكن أن تحقق له السعادة التي سيعرفها مع زوجة مثلك]

ونظرت الى الباب عندما سمعا طرقا عليه وهمست قائلة : [ها هو]

ثم رفعت صوتها قائلة : [ادخل]

وأدارت ليزا رأسها والتقت عيناها بعيني زوجها. وأبتسمت.فقد كان عليها أن تبدو طبيعية من أجل اليسيا، وقالت:

[أنك سريع،فلم يمضى على وجودى هنا سوى بضع دقائق.]

[أنك تحكمين علي في ضوء الوقت الذى تستغرقينه أنت. هناك حقيقة معروفة وهى أن النساء يقضين ثلث حياتهن في الحمام.]

وردت ليزا:

[والثلث الثانى في النوم ولا يترك هذا وقتا لأى شيء آخر، اليس كذلك.]

وارتد بصرها الى اليسيا وهي تضحك وقالت:

[هل لاحظت كيف يحب الرجال أطلاق التعليمات على الجنس الآخر. أنهم يصرون على حشدنا معا تحت عنوان مشترك،الأمر الذى لا يدع مجالا للشخصية الفردية.]

وتقدم براد الى الامام ليسند مرفقه الى ظهر كرسى أمه، ونظر الى زوجته وهو يقول:[ألا تقولين أنت نفسك ان الرجال متشابهون؟ أن كلا من

الجنسين يتبع نمطا معينا في بعض الجوانب، لا مفر من هذا، لكن رد الفعل إزاء بعض المواقف قد يختلف بصورة كبيرة بين الافراد. وهو ما لا يمكن التكهن به دائما.]

قالت اليسا وهى تبتسم:[أحس أن هنا صداما بين الارادات. دافعى عن حقوقك ياليزا. ان رجال نورتون كانوا دوما يسحقون الضعيف بلا رحمة.]

وقبل أن تتكلم ليزا قال براد:

[ليزا ليست ضعيفة. لقد ولدت متمردة. لكنى سأروضها.]

وأجبرت نفسها مراعاة لخاطر ليسيا على أن تقول بنعومة:

[بحنان. اليس كذلك؟]

لكنها كانت تدرك أن براد لاحظ رد فعلها الغريزى إزاء لهجة التهديد في صوته، وذلك بمشاهدتها له وهو يوسع ابتسامته ببطء.

وركع على ركبتيه ومد يديه الى النار يستدفىء بها، وهو يقول:

[لو فشلت كل الوسائل الأخرى فسأجرب هذا.]ثم أضاف متسائلا:

[هل أتى ستيوارت اليوم؟]

وردت امه بمرح:

[نعم، وقال أننى أستطيع أن ابدأ غدا النزول الى الطابق الارضى، لكنى لاأعتقد أنى أهتم بذلك مالم يتحسن الجو بدرجة تسمح لي بالخروج من المنزل. ألم تقل أن العمل سيبدأ غدا؟]

[ما سيبدأ غدا هو الاستعداد للعمل. أكرس كله لضمان البدء فيه. هل انت واثقة أنك على مايرام بدرجة تجعلك تتحملين كل الفوضى التى ستحدث هنا خلال الاسابيع القليلة القادمة؟ أستطيع دوما أن أوقفهم فى أى وقت.]

[لن تفعل ذلك بسببى. ان فارلى تعنى الكثير بالنسبة لي يابراد، ولو أجلت العمل مرة أخرى فإن هذا سيعنى انقضاء عام آخر وحدوث مزيدا من التدهور قبل أن تبدأ.اضافة الى ان مجىء شتاء آخر على غرار الذى انقضى يعنى أصابتنا بالالتهاب الرئوى. وانت تعرف كم تتطلع بونى الى مطبخها الجديد.]

[حسنا، حسنا، إنى كنت أتساءل فحسب.]

[وقد حصلت على الاجابة. هل سمعت شيئا من محامى دان.]

وتلاقت العينان الزرقاوان بالعينين الرماديتين:

[تلقيت منه رسالة بالامس. وسأتولى التصرف في الاستثمارات ابتداء من يوم الخميس. وقد أصدرت اليهم التعليمات بأن يبيعوا قدرا كافيا من الاسهم للوفاء باحتياجاتى من راس المال في الاسابيع القادمة، أما الباقى فأنا قانع بتركه حيث هو. أن دان كان يعرف جيدا كل ما يتعلق بالاسهم والسندات.]

وسألته ليزا وهى مندهشة من نفسها أذ أعربت صراحة عن تفكيرها:

[ماذا كنت ستفعل لو لم يترك لك ابوك في العماد ثروته؟]

[كنت سألجأ الى الحل الوحيد أمامى وهو أن اسلم البيت الى هيئة الوصاية الوطنية.]

[وتظل فيه كوصى؟]

[كلا فمن الصعب أن يبقى الوضع على ماهو عليه. فالسقف الذى يظلل رأس الانسان يجب أن يكون ملكه. كنت سأتركه لهم كله وأرحل عنه، وأشترى شقة حديثة فيها تسهيلات توفر العمل.]

قالت أمه في جفاء: [كنت ستكره تلك الشقة، فأنت لاتستطيع أن تعيش محبوسا في شقة ضيقة.]

[كنت سأقتني منزلا. في أى حال من الاحوال فالمشكلة لم تثر. ترك لي دان ثروت برغم أن هذا الشيطان الكهل جعلنى أنتظر عشر سنوات.]

وهزت اليسيا رأسها وهى تقول:

[ليست تلك هى الطريقة التى تتحدث فيها عن أنسان مات. فعل ماأعتقد أنه الاصوب. وتذكر أنه لم يرك منذ أن كنت طفلا. وكل ما يعرفه عنك كان يجعله يعتقد أنك فتى شرس لايتمتع برقة الاحساس كما اعتاد أن يقول. وفي اي حال فإن النقود كانت تدر أرباحا طوال هذا السنوات، فكر في هذا.]

[كل ما أستطيع أن أفكر فيه هو أن فارلى لم تكن بهذا السوء منذ عشر سنوات. بالطبع أنا ممتن لدان اذ أختارنى كمستفيد من ثروته. لكنه لو لم يكن عنيدا ومصمما على الا يطأ الارض الانكليزية ثانية، لكان قد جاء ورأى بنفسه أني كنت فى العشرين قادرا على رعاية الاموال مثلما أنا قادر على رعايتها الآن.]

والتقت عيناه بعينى ليزا وقال:ح هاجر والدى فى العماد الى امريكا لأن امرة كان يحبها هجرته. ولم يعرف أنها أسدت اليه بذلك معروفا.]

قالت أمه وهى ممتعضة:[إنك قاس في السخرية يابراد.]

مال عليها فجأة وقبل خدها، وقال وهو يأخذ المفرش من بين يديها:

[لابد أنك تعبت من الكلام. ستحمل بونى اليك عشائك حالا. لماذا تبذلين هذا الجهد المضنى فى شىء غير ضرورى مثل التطريز؟]

قالت اليسيا ورنة الارهاق بادية فى صوتها:

[أنه ضرورى. أخذت على نفسى عهدا بأن أكمله قبل..]

وتوقفت عن الكلام. وأكفهر وجه براد وهو يقول:

[أمامك متسع من الوقت.]

ورفعت رأسها اليه وهى تقول برقة:

[بزاد، لاتغاملنى كطفلة. جعلت ستيوارت يخبرنى بالحقيقة منذ أسبوع مضى، وما قدره الله سيحدث. وليست خائفة.]

ونظرت الى ليزا وأضافت:

[لقد أعطيتنى ماأردته دائما.أبنه. وقد أحضرتها لى بسرعة لأنك كنت تعرف الوقت المتاح لي لأتعرف اليها قد لايكون طويلا. فليباركما الله.]

وأخذت يد ليزا بين يديها وربتت عليها، ثم أضافت:

[والآن اذهبا وتناولا شيئا منعشا قبل العشاء. وسأذهب الى فراشى فور أن أنتهى من عشائى.]

وعندما تركا الغرفة، رأيا بونى آتية عبر الدهليز تحمل صنية الطعام. ونظرت اليهما طويلا، وفتح لها براد الباب وأومأ لها شاكرا حيث اختفت فى داخل الغرفة. قالت ليزا بهدوء وهى تسير بجوار براد نحو السلم:[هل تعرف بونى؟]

[تعرف ماذا ؟]

[عنا...]

وهز كتفيه وهو يقول:[أعتقد ذلك. فليس من الشائع أن ينام الزوج في غرفة الملابس. وأعتقد أني يجب أن أحمد الله على أنها تعتنى هى نفسها بغرفتنا، وأن الخدم النهاريين لايلمسون غرف النوم. على الاقل يمكننا أن نثق بان بونى ستحتفظ بالسر لنفسها بما تعرفه. بل أنها تدرك ماسيحدث لأمى لو شكت في أن زواجنا أمر مخجل حقا.]

[خطأ من هذا؟]

[هل هذا يهم؟ أن اتفاقنا يبدو أنه يحقق الغرض تماما.]

وألجمها الاحساس بالخجل وهى تتذكر كلمات اليسيا فى غرفة نومها منذ

لحظات قليلة مضت. أن هذا الخداع يغدو أصعب فأصعب.. كيف يمكن أن يستمرا فيه حتى.،وتوقفت عن التفكير فلم تكن تريد أن تصدق أن اليبيا يمكن أن تموت.]

[لم تخبر أمك أبدا عن ذلك الشرط فى الوصية.]

[لم أخبر أحدا عنه.]

[فيليسيا فقط..]

وتوقف عن النزول واستدار اليها حتى سد عليها الطريق. وكانت عيناه قاسيتين وقال: [لم أقل لأحد على الاطلاق. اكتشفت فليسيا ذلك صدفة.]

فكرت ليزا بمرارة أن هذه المعلومات وصلت الى فيليسيا فى الوقت المناسب. وبقدر ما كانت تكره تلك الشقراء الفاتنة، كانت تعجب بها لرفضها الزواج من براد لقاء شروط.]

[كم كان ذلك مؤسفا بالنسبة لك.]

[أن ذلك يتوقف على الطريقة التى تنظرين فيها الى هذا الامر. وايا كانت المعلومات التى اوردتها فيليسيا فان ذلك لا يمكن أن يغير حقيقة أنك زوجتى، وأن ذلك وحه يحقق رغبات دان وفى ما تعلق بالباقى فأننى لاأستطيع ان امنعك من التفكير فيه كما تريدين. فانا لست دكتاتورا الى هذا الحد.]

٧ – مفاجأة في المدينة

كان العشاء في تلك الأمسية لطيفا. حتى فيلسيا بدت مستبلمة، ولاحظت ليزا مرة أو مرتين أنها تنظر الى براد وقد كسا وجهها تعبير غريب.

وعند الأنتهاء من تناول الحلوى، قالت فيليسيا:

[سمعت من بونى أن العمال سيصلون غدا.]

ورد بزاد دون ان يرفع بصره من على طبقه : [نغم سيأتون غدا]

وضعت فيليسيا ملعقتها وشوكتها على طبقها بعناية وقالت :

[في هذه الحالة أعتقد أني سأعود الى منزلي في الصباخ ، فسيكون هناك جلبة وغبار في كل مكان حتى نهاية الصيف ، وعلى خلاف ليزا فانني لا أستطيع أن زتحمس لمثل هذه الاشياء] هذه المرة ارتفع رزس براد وفي عينيه تعبير غريب لم تستطع ليزا أن تفسره ، فقال موافقا :

[ربما كان ذلك أفضل . فالحياه لن تكون لطيفة في فارلي]

ويبدو ان الرد لم يعجبها . فقد تأملته بعينين ضاق ما بينهما كما لو كانت تحاول قراءة ما وراء قوله الغامض وقالت :

[وماذا عن أمك ؟ هل تتحمل الضجيج ؟]

[قالت ، ان أي تأخير سيزعجها أكثر ، فهي تريد أولا أن ترى فارلي آمنة قبل الشتاء]

قالت ليزا : [هل يمكن ذلك ؟]

[ستكون هناك صعوبات كثيرة . تمكنت من الحصول على الرجال الذين أريدهم]

[بما في ذلك ربيب بوب طومسون]

[جيفري ؟ نعم . إنه متلهف على هذا ، خاصة منذ أن أخبرته أن لدينا

بعض أمثلة لأعمال غرينلنغ بونز في المكتبة]
وسألت ليزا في تلهف : [هل لدينا فعلا هذه الاعمال ؟ لم تقل لي ذلك وأنت تريني المكتبة . هل أشتغل جيبون فعلا في فارلي ؟]
ذلك وأنت تريني المكتبة . هل أشتغل جيبون فعلا في فارلي ؟]
وهز براد رأسه بابتسامة خفيفة وهو يقول :
[أشك في ذلك . لكن في أرواق الأسرة ما يفيد أن اطار المدفأة جيء به الى هنا من سواري وأن اللوحتين من أعمال جيبون تم شراؤهما من بيت آخر ونقلا الى هنا]
[لكن، هل هما بالتأكيد من أعمال جيبون؟]
[نعم. كان أعظم نحات للخشب فى عصره، وأعماله لا يمكن الخطأ في التعرف اليها فليس هناك إنسان آخر له مثل مقدرته ومهارته.] \وتدخلت فيليسيا فى الحديث وهى تشعر بالضيق، قائلة: [لم أكن أعرف أنك ملمة بكل هذا. هل أنت خبيرة فى مثل هذه الاشياء؟]
[أنا ليست خبيرة فى أيشىء، ولم أزعم هذا أبدا. وفى اى حال، فالخبير لا يمكن أن يتأكد من شىء من دون الحص الدقيق، وهو الأمر الذى قام به براد فى عناية.]
ورفعت فيليسيا حاجبيها ببرودة، وقالت:
[هل أرى فى ذلك نوعا من الغيرة؟ أرى أن زوجتك يابراد تنافسك فى كل شىء.]
[إن ذلك مضحك تماما. أعتقد أن هذه الملاحظة يافيليسيا لا مبرر لها.]
قال براد فى هدوء: [إنها تحاول أن تداعبك.]
ووقف وهو يضيف: [ستأتى بونى بالقهوة الى الداخل.]
كانت هذه الامسية طويلة للغاية، ومليئة بالتوتر. واحست ليزا بالراحة عندما دقت الساعة فى الردهة معلنة العاشرة، فادعت أنها تعبة وصعدت الى غرفتها وتركت الآخرين يتحدثان، وهى تعرف أن براد سيقطع الحديث بعد قليل ويلحق بها حفاظا على المظاهر. وعندما وصلت الى غرفة النوم، أرتمت على السرير وهى منهكة. إنها متعة أن تستلقى هناك فى الظلام لا يعكره سوى وميض النار التى تخبو، تاركة جسمها يستعيد استرخاءه. لقد شعرت بمثل هذا فى الكوخ ذلك اليوم، فقد استرخت وأحست أنها مرتاحة. إن ذلك الكوخ

بالنسبة اليها، مثل واحة وجدها أنسان تاه طويلا فى وسط الصحراء. هل كان ليوك جادا فى دعويه الى رسمها؟ وهل تدعه يفعل؟ قد يكون مسليا أن ترى نفسها كما يراها شخص آخر. إن ليوك لا يرسم صورا شخصية مسطحة، بل يرسم ما يتراءى له. وربما لم تكن فى حقيقتها كما يراها هو. لكن هل تجروء على القيام بهذه المغامرة؟

وعندما استيقظت، كان الظلام أشد، وكان وميض المدفأة قد أنطفأ تماما. وجاهدت لتنهض وتنظر الى ساعتها. كانت الحاية عشرة إلا ربعا. لقد نامت نحو نصف ساعة. لم يكن هناك أى نور يتسرب من عقب باب غرفة الملابس. أن براد لايزال مستمرا فى الحديث. وأضاءت ليزا المصباح، وتمنت لو أنها قامت بكل ما يجب فور صعودها. ولو فعلت ذلك لكانت الآن تنام ملء جفنيها بدلا من الاغتسال وتمشيط شعرها. وفعلت كل هذا مرغمة وعندما انتهت كانت قد استيقظت تماما.

ومضت عبر غرفة النوم الى طاولة اللبس وهى تفك سحابة ردائها أثناء سيرها وتشابكت السحابة وتوقفت رافضة أن تنفتح، وحاولت بنفاد صبر أن تشد عروتها لأعلى لكنها لم تتحرك لم تكن الفتحة كافية لخلع الرداء، وحاولت دون جدوى تحريك عروة السحابة فلم تفلح. ووقفت مرتبكة لا تعرف ماذا تفعل، وتذكرت أن هناك بابين فى خزانة الملابس الموجودة فى غرفة الملابس فيها مرايا ويمكن أن يفتح أحدهما بطريقة معينة بحيث يستطيع الناظر أن يرى ظهره من خلال المرآة الباب الاخر. ولو فعلت ذلك لرأت الخل الذى طرأ على السحابة وأصلحته. ودخلت غرفة الملابس بلا احتراس، موقنة أن براد مازال تحت مع فيليسيا، ومدت يدها لتشعل النور لكنها تجمدت إذ رأت شخصا ينتصب جالسا فى المقعد. وساد صمت مطبق لبضع ثوان، عندئذ أضاء براد مصباحا قريبا ونظر اليها بحاجبين مرفوعين وهى تقف فى المدخل، وقال لها:[أعتقد أنك فى فراشك. مضى أكثر من ساعة منذ أن صعدت الى غرفتك.]

[غفوت. ولكن الوقت ليس كما قلت، لقد انقضى..]

ونظرت الى ساعتها وقالت: [أوه، لقد توقفت.]

[إن الوقت المضبوط هو الحادية عشرة والنصف. هل تريدين شيئا؟]

[نعم. أقصد..لا..]

وقفت مرتبكة، وهى تلاحظ اهتزاز عضلات كتفه البرونزية وهو يحرك ذراعه

وأحست أنه من الغريب أنها تزوجت منذ عدة أيام ولم تكتشف إلا الآن أن زوجها ينام نصف عار:

[إن عروة السحابة ترفض أن تتحرك. وكنت أريد أن أستخدم المرايا المزدوجة لأرى الخلل وأحاول إصلاحه.]

[هل هذا هو كل ما فى الامر؟ تعالى وسأفتحها لك.]

وبمجهود شاق تغلبت ليزا على الرغبة فى أن تعود الى الغرفة الموجودة خلفها، وتحركت ببطء الى الاريكة. فقال لها:

[اجلسى فلن أصل اليها هكذا.]

وأخذت نفسا عميقا وأطاعته، وجلست بظهرها على حافة الكنبة وجسمها مشدود كوتر القوس. الى بعد أن فحصها سريعا:

[إن جزءا من قماش الثوب دخل بين أسنانها، وكسرت سنة أو أثنتان نتيجة للشد، هناك طريقة واحدة لاخراجك من هذه المشكلة.] وشد الثوب بقوة فمزقه.

فقالت ليزا بحدة: [هل كان ذلك ضروريا؟ كان فى استطاعتك تخليصها دون أن تمزق الثوب.]

ونظر اليها ببرود وهو يقول:

[أعتقد أنى كنت أستطيع ذلك فعلا، لو كنت تريدين أن تمددى أقامتك هنا نصف ساعة. هل أن الأمر مهم لهذا الحد؟ تستطيعين أن تشترى بدل هذا الثوب عشرات الاثواب. لاتهتمى.]

ثم قسا صوته وهو يقول:

[أم أنك تعتبرين قبول نقود منى أمرا خارجا عن قواعد اللعبة التى نلعبها؟]

قالت ليزا وهى لاتبدى حراكا: [ليست لعبة بالنسبة لى.]

[ماذا إذن؟ من الصعب أن تسمى اتفاقنا وضعا طبيعيا للأمور بين زوجين.]

[ليس هناك شىء طبيعى فى زواجنا، يابراد، لا شىء طبيعى على الاطلاق. خدعتنى بزواجك منى لسبب واحد، سبب واحد فقط، وأنا لاأعتبر نفسى جزاء من صفقة.]

ونظر اليها فى صمت وذراعاه مستندتان الى ركبتيه. وسألها:

[ما الذى ستفعلينه لو كنت مكانى؟]
[أكون أمينة فى كل شىء، وأقدم العون فى مقابل ما قدمته. لقد كنت تعرف كم كنت في حاجة الى خمسمائة جنيه، وكنت على استعداد للبحث فى اقتراحك.]
[كفى عن السخافة. انت لاتقاسين أكثر منى ياليزا. لو كنت ذكرت لك ذلك الشرط فى الوصية لألقيت بأخيك ريك للسباع وهربت. الأمر نفسه لو كنت وجدينى غير جذاب كلية. إنك لم تتزوجينى من أجل ريك فحسب. لقد أتاحت لك حاجته عذرا رائعا لتتجاهل العهد الذى قطعه على نفسك بتكريس حياتك له، وجعلك تطيرين فرحا. كلا ياعروسى الصغيرة، أن الحواجز بيننا هى من صنعك أنت فقط.]
وتوقف قليلا ثم قالت :
[ماذا كنت تتوقعين؟ هل تعتقدين حقا أنى ل أعرف انك تحبيننى حقا.]
[هذا شىء افترضته أنت لنفسك، ولو تذكرت، فان كل ما قلته هو أننى أجدك مرغربا، ومازلت أراك هكذا.]
ولم يرفع عينيه عن وجهها للحظة. ثم أضافت:
[وقلت أيضا أن الحب يمكن أن ينمو. فهل ترى أن هذه الصورة الزائفة من الزواج تتيح أى فرصة لذلك. أن طريقتك نادرا ما تنجح. فالحب يقوم على الميل وليس على الرغبة.]
[وأنت لا تحبيننى؟]
[أنا أكرهك!]
[حسنا، تلك عاطفة إيجابية جيدة. إن لك إحساسا مرهفا بالدراما ياليزا. لكن لمصلحتك عليك الا تبالغى فى الدور الذى تختارين القيام به، ذلك أن حل عقدة المسرحية قد لايجىء على النحو الذى تتوقعين.]
ونظر الى الساعة الموجودة على المائدة الموجودة بجواره وهو يقول:
[ربما كان من الأفضل أن تذهبي الى فراشك. فلدينا يوم مشحون غدا.]
وتركته دون أن تنطق بكلمة، وأغلقت الباب بينهما، وأدارت المفتاح فى القفل.
وفى بداية اليوم التالى، ثبت أن تنبوء اليسيا فى ما يتعلق بالجو كان مصيبا. كان الصباح جميلا وجافا ومبشرا بالدفء. ورحلت فيليسيا عقب الفطار

مباشرة فى سيارة أجرة كان براد قد طلبها فى الليلة السابقة. ولم تحرص ليزا على أن تخرج الى السيارة لتوديعها لأنها أحست انها ستكون منافقة لو أدعت أن رحيل فيليسيا لم يسبب لها ارتياحا. وبعد ربع ساعة وصلت طليعة جيش العمال الى فارلى. كانوا ثلاثة يشكلون فريقا كفؤا للغاية. وفى وقت قصير أفرغوا كل أدواتهم وأدخلوها الى البيت.

بدأوا فى الردهة ونشروا قماشا مشمعا ضخما ليحموا الارض. ثم وضعوا ألواحا خشبية لتشكل طريقا فوقها. وغطوا الجزء العلوى الافقي من درج السلم بألواح خشبية لحماية الحلى المعمارية من أي تلف محتمل عند نقل أحمال ثقيلة ، وثبتوا ستارة من ألواح الخشب على الجانب الداخلي من الدرابزين المشغول برقة وفن حتى لا يتلقى خبطات عنيفة . وبعد هذا تفقد الرجال كل الغرف في الجناح الجنوبي لتغطية الجوانب المعمارية وتثبيت الألواح الخشبية المتصلة المثبتة بالجدران للزينة ، كل ذلك على اساس ان يتم أي شغل تحتاجه هذه البنود في مرحلة تالية بعد الاصلاحات الهيكلية . كما قاموا بنقل الاثاث من الغرف التي ستنزع أرضيتها الى غرف آخرى ، وأصبحت غرفة الجلوس تدريجيا مليئة بتشكيلة من الاشياء ما كان يمكن أن تضمها أبدا . وعندما خرجت بوني من المطبخ وواجهت مشهد الاضطراب والاختلاط هذا كادت أن تبكي وقالت ليزا وهي تقدم لها فنجانا من القهوة :

[الله وحده يعلم متى سننتهي من هذا . لم أكن أعتقد أبدا أن مثل هذه الفوضى ستحدث]

فأجابتها ليزا :

[أخشى أن يكون الاضطراب الحقيقي لم يحدث بعد ، ولوكنت مكانك لتجنبت الجناح الجنوبي كلية حتى ينتهي هذا . على الاقل حتى ينتهي الطابق الارضي . ومن الواضح أن القدر الأساسي من العمل الذي يتم فوق سيقتصر على الركن الجنوبي الشرقي بل ات بعض الغرف لن تمس]

[شعرت بالراحة اذ سمعت هذا]

وجاء براد وهو يقول : [هل هناك قدح لي يا بوني ؟]

فقالت وهي تقدم له الصينية :

[وهل أجرؤ على أن أتناسى سيد البيت ؟ سأخذ الاقداح الباقية لهؤلاء الرجال هناك]

وأومأت نحو غرفة الطعام وأضافت :
[هناك طبق من البسكويت على المائدة لكما]
وعلق براد بعد أن مضت مدبرة المنزل بقوله :
[أعتقد أن الرجال هناك يفضلون شيئا آخر غير القهوة . سأرتب لهم غدا لو بقي شيئا دافئا مثلما هو الآن]
ومضى الى طبق البسكويت وأخذ واحدة واستند الى حافة المائدة ليأكلها ، ونظر الى حيث تقف ليزا عند الباب وسألها : [هل تريدين شيئا تأكلينه ؟]
[القهوة كافية تماما]
وساد صمت قصير كانت خلاله تدرك أن عينيه مركزتان عليها وسألته :
[لماذا اخترت الجناح الجنوبي لتبدأ العمل فيه ، أعتقد أن الجزء الأقدم من البيت يستحق الأولوية]
[حسب الظواهر أنت على حق ، لكن ما نسيته هو أننا نعيش فى الجناح الجنوبي وكلما أسرعنا باستئناف حياتنا فيه على نحو مريح كان ذلك أفضل . وفور أن ينتهي العمل في هذا الجزء من المنزل فاننا نستطيع أن نكرس الوقت اللازم للباقي]
[فهمت. كان سؤالى غبيا، أليس كذلك؟]
[لنقل أنه ليس من نوع الاسئلة التى أتوقعها من شخص ذكى مثلك. لماذا تشعرين دوما أنه ينبغى عليك القيام بواجب المتحدث معى ألم تسمعى بصمت الرفقة؟]
[ذلك يكون بين الرفاق الحميمين. ونحن يصعب اعتبارنا كذلك!]
وترددت قليلا، ثم استطردت قائلة:
[أعتقد أني لن أكون مطلوبة هنا فى الاصيل، ولذا فكرت فى أن أذهب الى سكبتون وألقى نظرة على المنطقة.]
فهز كتفيه وقال: [خذى السيارة لو كنت ستذهبين الى المدينة، فخدمات الاتوبيس لايعول عليها كثيرا.]
[كيف عرفت أنى يمكن أن أقود سيارة؟]
قال وهو ينهى قهوته وينحى القدح جانبا:
[قلت لى ذلك مرة. سأذهب الى المكتب لواحتجت الى شىء.]
ومضى عبر الدهليز الذى يفضى الى مملكته الخاصة.

أخذت ليزا ترشف قهوتها، وهى تفكر. قالت لنفسها إن براد يسىء تفسير كل أعمالها. إنها لم ترد الذهاب الى سكبتون على وجه الخصوص، لكنه كان ينبغى لها أن تذهب الى مكان فيه حوانيت. فغدا عيد ميلاد براد. وليس لديها شىء تقدمه اليه.

وبينما كانت لاتزال واقفة هناك، رن جرس الهاتف بصورة حادة مزعجة. وتركته يرن، لأنها تدرك أن براد سيرد عليه من خلال الجهاز الموجود فى مكتبه. وبعد لحظة سمعته ينادى عليها من باب المكتب، قائلا:

[ليزا، أنه لك إنه ريك.]

[شكرا، سأخذ المكالمة من هنا.]

وجاءها صوت أخيها المألوف على الخط : [كيف الحياة الزوجية؟]

وأدركت ليزا أن براد ربما يكون يستمع من خلال الجهاز الموجود أمامه، فقالت: [جميلة.]

إن براد ليس فى حاجة الى أن يخشى أن تقول لريك الحقيقة، برغم أنه لا يمكن أن تنبأ بالاذلال الذى عانته على يديه. وأضافت قائلة:

[وأنت كيف أحوالك؟ هل أنت على ما يرام]

[بالتأكيد. لا يمكن أن يكون الحال أحسن مما هو عليه. لقد وجدت مقهى صغيرا رائعا يقدمون فيه طعام الافطار فى كل صباح من أيام السبت؟]

[عدا ذلك، ماذا تفعل؟]

[إنى أتصرف. قولى لى لماذا بدا زوجك معكر المزاج عندما رد على الهاتف هل تشاجرتما؟]

[كلا. ماذا فعلت عندما بدأ مراجعو الحسابات التدقيق فى مستنداتك؟]

[لا شىء جعلت الأمر يبدو وكأنى أردت تنظيم الارتباك الذى حدث فى الدفاتر، أنى عندما قمت بهذا اكتشفت خطأ فيها وأصلحته باتخاذ الطوات الضرورية والسليمة. إنهم حمقى!]

قالت ليزا لنفسها أن هذا هو ريك، وأن تلك هى فظاظته. أنه إنسان فاسد وأنانى وغير ناضج. وسألته بصورة حادة: [ريك. لماذا تتصل بى؟]

وبدا فى رده مندهشا من البرود الذى اتسمت به نبرتها، وقال:

[لماذا؟ لأنى أردت الاطمئنان اليك ماذا غير ذلك؟]

كانت ليزا تستطيع أن تذكر له أسبابا وجيهة لاتصاله، لكنها امتنعت وأبقت

الحديث متصلا لدقائق أخرى، وتحدثت متعمدة عن المنزل وما سيفعلونه فيه، حتى أحست بأن الضيق والملل بدا ينتابانها. وأخيرا قال:
[يجب أن أنهى المكالمة، فصاحب العمل قد يجىء فى أية لحظة.]
وسألته مندهشة: [هل تتكلم من المكتب؟]
[بالطبع لأجعل صاحب العمل يتحمل قيمة المحادثة، مادام انه يسرقنى بهذا الأجر الزهيد الذى يدفعه لى. فى أى حال سأبقى على اتصال بك ياليزا.]
وفى الساعة الثانية خرجت بالسيارة من البوابة الرئيسية وهى تشعر بالارتياح والاسترخاء. أن الاصيل ممتد أمامها، ولها أن تفعل فيه مابدا لها، وهى ستفعل ذلك على وجه الدقة. وفكرت فى أنها ستتسوق أولا ثم تتناول الشاى فى مقهى صغير هادىء، إذا استطاعت أن تجد واحدا من هذا النوع، ثم تتسكع لأطول مدة ممكنة قبل أن تعود. واستمتعت بقيادة السيارة الى سكبتون، مرت بالريف ومناظره الجميلة من مراع وأشجار وحقول للقمح.
وعندما وصلت الى المدينة أوقفت السيارة فى موقف السيارات، ومضت تتجول فى الشارع الرئيسى وتتفرج على نوافذ العرض بما تحويه من عروض جذابة للسلع. وفكرت فى أنه سيبدو أمرا غريبا أن تفشل زوجة فى الاحتفال بعيد ميلاد زوجها بهدية مناسبة، لكن أى نوع من الهدايا تستطيع أن تشتريه لرجل لايزال فى نظرها غريبا. واشترت سترة من القماش الكشمير الناعم، فذلك اختيار آمن وأن افتقر للخيال، وحملت اللفة الى السيارة، وعندئذ أحست أنها أصبحت حرة لتركز على استمتاعها هى شخصيا.
وجذبتها بناية أثرية قديمة فدخلت تأملت بإعجاب ما يها من آيات الفن كان المكان يسوده الهدوء والسلام، والاحساس بالانقطاع والعزلة عن العالم الخارجى فمكثت فيه لفترة. وخرجت الى ضوء الشمس ثانية، ونظرت الى ساعتها فوجدت أنها الرابعة. تبخر الوقت فى هذا الاصيل، ولم تر كل ما تحويه المدينة. كانت تنوى أن تلقى نظرة على القلعة الموجودة فيها، لكنها لو رغبت فى شرب الشاى فسيكون عليها أن تنتظر ليوم آخر لترى القلعة. ووقف رجل على الجانب الآخر من الشارع عندما رأى ليزا فى ثوبها الكتانى وهى تقف وحيدة أسفل سلالم الكنيسة، وارتسمت على شفتيه ابتسامة وهو يغير اتجاهه ويمضى نحوها. ورفعت إليه ليزا بصرها محدقة عندما سمعته يقول

بهدوء: [لم أتوقع أن أراك فى المدينة هذا الاصيل.]
وصحت فى دهشة :[ليوك .]
ووقفت لاتحرك ساكنا تحدق فيه وأخرا سألته:
[ماذا تفعل فى سكبتون؟]
[أشترى مواد جديدة. فأنا أجىء اليها مرة فى الشهر لهذا الغرض.]
[هل أنت وحدك؟ نعم؟ جئت لشراء هدية لبراد. فعيد ميلاده غدا.]
[حقا؟] وأخذ يتفرس فيها مليا، ثم قال:
[تعالى وتناولى بعض الشاى معى. هل يجب أن تعودى الان؟]
أبتسمت له وهي تقول :
[كلا. وأحب أن أتناول الشاى معك.]

وبعد خمس دقائق كانا يجلسان الى مائدة لشخصين فى محل لتناول الشاى فى أحد الشوارع الخلفية، لم تكن ليزا لتهتدى اليه وحدها. كان مكانا ساحرا نظيفا لأقصى حد مليئا باحواض الزهور على الموائد. ومضى ليوك ليطلب الشاى والبسكوت ثم عاد وجلس يبتسم ويقول:

[أنها مناسبة سعيدة. إذ لم تتح لى فرصة أن أدعو سيدة جميلة مثلك الى الشاى. هل لديك فكرة عن مدى سعادة إنسان مثلى عندما يحس بان كل الرجال فى صالون الشاى يحسدونه علي ذلك؟]

ضحكت ليزا وهى تقول:

[هنا رجلان فقط أنت واحد منهم. فى أى حال أنت لست كبيرا فى السن الى درجة تجعلك تتحدث على هذا النحو. الا يقولون دوما أن الحياة تبدأ بعد الاربعين؟]

واختلجت عيناه فجأة وهو يقول:
[ربما، لكننى فى الخامسة والاربعين.]
[حقا، لاتبدو كذلك.]
[أشكرك.]

وجاء الشاى وصمتا كلاهما حتى مضت الساقية.وسألته ليزا وهى تصب الشاى:[أين كنت تعيش قبل أن تجىء الى الكوخ؟إنك تبدو كأهل الجنوب.]

[نعم أنا كذلك ولدت فى كورنوال في مكان اسمه موليون كوف ربما تعرفينه.]

[نعم أعرفه. أمضيت أجازة على ذلك الجزء من الساحل منذ ثلاث سنوات.]

[لماذا جئت الى الشمال؟ هل استنفدت المناظر هناك؟]

[نعم ، الى حد ما. كنت فى حاجة الى التغير. تغير درامى.]

[لم أكن دوما فنانا متفرغا. تفرغت منذ ثمانى سنوات فحسب منذ أن جئت الى ديلسى.]

[ماذا كنت فى كورنوال.. أقصد ماذا كنت تفعل هناك؟]

[كنت أدير فندق العائلة. وقد بعته عندما ماتت أمى وجئت الى هنا.]

[وفعلت ما كنت تحلم بان تقوم به؟]

[نعم، فالروابط العائلية يمكن أن تكون قيدا قاسيا. مات أبى عندما كنت دون العشرين. ولم تكن أمى تستطيع أن تدير الفندق، فعدت الى بلدتى وتركت الكلية باختيارى، لأننى لو لم أخذ مكان أبى لأجبرتها على التخلى عن الفندق وهو الشيء الوحيد الذى تهتم به فى الحياة. ومن دون أن أدعى النبل والشهامة، لم يكن هناك سوى طريق واحدة جديرة باختيارى.]

[ألم يكن فى امكان أمك أن تستأجر مديرا؟]

[شخص أجنبى؟ لم تكن اتوافق على ذلك أبدا. أن الغرباء لا ينتمون الى عالم أمى إلا باعتبارهم نزلاء يدفعون. لقد كانت سيدة غريبة فى عدة نواح، وفى أحيان كثيرة كنت أفكر فى أن أتركها. لكن الدم كان يثبت دوما أنه لا يمكن أن يتحول الى ماء عندما يجد الجد.]

[لكن هل توقفت فى ذلك الحين عن الرسم؟ من المؤكد أنك لم تمضى كل هذه السنوات دون أن تلمس الفرشاة.]

[كلا، لم أتركه. فلم أكن أستطيع ذلك. كنت أمضى كل وقت فراغى أرسم اللوحة، تلو اللوحة. وأن الرسم فى دمى. لاأكون سعيدا حقا مالم تكن الفرشاة فى يدى واللوحة أمامى. معظم الناس لايفهمون هذا الميل. أتهمونى بأنى أضيع حياتى فى الاحلام. وكنت أحيانا أتساءل هل يمكن أن يكونوا على حق.]

[هل يمكن أن يكون الشيء الذى يحقق السرور والسعادة تضييعا للحياة؟ لوحاتك رائعة ياليوك. وبرغم أنى لاأدعى معرفة كثيرة بالفن، فإنى أوقن أنها تكشف عن موهبة رائعة.]

ومد يده ولمس خدها برقة، وقال:[أن أعرف أنك تقدرين وضعى ياليزا.]

فنظرت اليه فى ود، وهى تحس مرة أخرى بمدى التقارب بينهما برغم فارق السن. كانت تحس أن لقاءها مع ليوك بعد يوم من المشاعر المتوترة التى يثيرها براد، يجعلها تشعر كمن وصل الى ملجأ آمن بعد عاصفة عاتية. أن فيه كل ما يفتقر اليه براد. فهو حنون ومتفهم وغير معقد. لم يكن سعيدا فى حياته منذ الفترة التى أخبرها عنها، وهى واثقة بأنه كانت لديه متاعب أخرى لم يطلعها عليها. لكنه الآن طرح كل ذلك وراء ظهره لأنه يريد شيئا واحدا. أن يرسم. وحسدته على تلك القوة الدافعة التى تجعله يتجاهل كل الاعتبارات الأخرى ولايبالى بها.

٨ – شارل وهيلين

كانت الساعة قد جاوزت السادسة، عندما غادرت ليزا الى فارلي . وكان المنزل ساكنا فقد ذهب العاملون بعد أن أنهوا ما جاءوا من أجله ..

وعندما ذهبت الى غرفة النوم كان باب غرفة الملابس موصدا ، خلعت سترتها وعلقتها في الخزانة وأخذت منه ثوبا لترتديه في المساء وأغلقت بابه وعندما استدارت وجدت براد يقف في مدخل الباب المقابل :

[وأخيرا حضرت أين كنت كل هذا الوقت ؟]

وتساءلا بينها وبين نفسها عما سيقوله لو أنها أخبرته الحقيقة وهي أنها كانت مع رجل آخر كل هذا الوقت ؟ مر الوقت سريعا مع ليوك في ذلك المقهى الصغير . لقد ناقشنا كل شيء ماعدا مايتعلق بها ، وقد أبدى ليوك لباقة فيما يتعلق بشؤونها ، وقالت :

[تجولت في المدينة . هل من الضروري أن أقدم لك تقريرا عن كل دقيقة أمضيتها خارج البيت]

وتقلصت شفتاه وهو يقول :

[ألم يخطر بالك أني يمكن أن أقلق عندما لاتعودين في وقت تناول الشاي ؟]

[كلا ، لم يخطر في بالي ذلك على الاطلاق . هل كان علي أن أفعل ذلك ؟] . و تحولت عنه في محاولة للتهرب من نظراته ثم قالت :

[لاأدري لم كل هذه الضجة ؟ ! الوقت مازال مبكرا على موعد العشاء]

[سنتعشى في الخارج ، شريكي وزوجته يريدان رؤيتك]

واستاءت ليزا من ذلك . كانت تأمل في أنه بذهاب فيليسيا لن تضطر الى هذا التظاهر الذي تكرهه كثيرا .وسألته : [هل يجب علينا الذهاب ؟]

[نعم ، الواقع ان شارل طلب منّي ذلك أمس ، لكن كثرة المشاغل أنستني الموضوع حتى هذا المساء]

[تستطيع ان تتصل به هاتفيا وتقول له انني أشكو من صداع]

ولم تسمعه وهو يتحرك . فجأة وجدت يده على كتفها وهو يديرها لتواجهه وقال :

[ليزا انك لن تقابلي شارل وهيلين الليلة فحسب لكنك ستجعلينهما يعتقدان ان زواجنا ممتاز]

[لماذا ؟ ماذا يهم ما يعتقدونه ؟ وافقت على التظاهر من اجل أمك فقط وليس للحفاظ على كبريائك الغالية !]

وتقلصت يده الممسكة بكتفها على نحو آلمها وانغرزت أصابعه في لحمها وهو يقول بجفاء :

[لا تدفعيني الى الغضب]

وظلت صامتة تحدق فيه وفجأة تركها تذهب وهو يقول لها :

[غيري ثيابك سأراك تحت خلال نصف ساعة]

ولم يستغرق حمام ليزا وارتداؤها الثوب الاسود الذي ارتدته في أول أمسية قضتها مع براد سوى خمس وعشرين دقيقة . كانت آثار أصابعه لاتزال بادية على كتفها لكن الثوب غطاها . وعندما تأملت صورتها في المرآة وهي تمشط شعرها شاهدت بريقا غريبا محموما في عينيها . وعندما مضت في الدهليز نحو السلم كان براد يتحدث في الهاتف في الردهة وكان صوته يصل الى مسمعها بوضوح وسمعته يقول :

[لاتتصلي بي هنا يا فيليسيا لو اردت الاتصال فليكن في المكتب]

ووقفت ليزا متسمرة في مكانها وهي تحس بالاختناق . لابد أن هناك شيئا بين زوجها وبين تلك المرأة . وتملكها غضب جارف ، قال لها إلعبي هذا الدور من أجل أمي لأنها يجب ألا تعرف الحقيقة . لكن ماذا سيكون الوضع لو أن اليسيا اكتشفت ارتباطه المستمر بفيليسيا ؟ ألن تقضي عليها هذه الصدمة ؟ وسارت نحو السلالم . كان براد قد وضع سماعة الهاتف وجاء للقائها وأخذ معطفها منها ليساعدها على ارتدائه ولامست يداه كتفيها وقال :

[ليزا صدقي أو لاتصدقي لقد قلقت عليك هذا الأصيل ودارت في خاطري كل أنواع الحوادث]

[الحوادث التي أصابتني أم التي أصابت السيارة ؟ أعتقد أنك في عجلة]

[حسنا فلنذهب]

كان شارل وهيلين يعيشان في شقة في عمارة ضخمة حديثه في ضواحي برادفورد ، وجاء شارل الى الباب ليرحب بهما ، كان أصغر من براد بثلاث أو أربع سنوات ، قال لهما وهو يأخذ أشياء هما :

[هيلين في المطبخ تضع اللمسات الأخيرة]

وسمعتا صوتا يقول : [كلا ، لقد أنتهيت]

واستدارت ليزا لترى فتاة طويلة هيفاء تسير اليهما . كان لها وجه جميل محبب كالذى ينشر على غلاف المجلات ، يتوجه شعر ذهبي ناعم . قالت :

[براد كيف تجرؤ أيها الحصان الأسود الكهل على أن تكتم الأمر وتتزوج دون أن تخبر أحدا ؟ أنت تعرف كم أحب حفلات الزواج ؟]

وابتسمت ليزا وهي تمسك بيدها وتقول :

[إني مسرورة حقا لزواجه . كنت اخشى أن يصبح عازبا عجوزا]

رد بردا قائلا :

[ناديتني بالعجوز مرتين . ويجب أن يكون طعامك جيدا على نحو يعوضني عن ذلك]

تجعد أنفها وهي تضحك في وجهه ثم سحبت ليزا من يدها الى غرفة الجلوس المزينة على نحو رائع وهي تقول :

[سمعت ان بيننا شيئا مشتركا فأنا من الجنوب أيضا . من كنت في الأصل ، لكني عشت في لندن عامين]

وجلست ليزا قرب مضيفتها في كرسي منخفض وهي مهتمة بما قالته وسألت : [هل أنت من هناك حقا ؟ ماذا كنت تفعلين ؟]

وردت هيلين بابتسامة دافئة ساحرة :

[كنت عارضة أزياء . لم أكن من أهل القمة في هذا الصدد لكني كنت أقوم بعملي على نحو يلقي التقدير ، حتى جاء رجلي هذا فاقتحم الصورة ونومني مغناطيسيا وجعلني أعتقد أني بلغت من العمر حدا يوجب علي أن أقضي بقية عمري في المطبخ]

وجاءهما شارل بقدحين من شراب مثلج وهو يقول :

[كان هذا بالطبع حقا وصدقا . فليس هناك أسعد من امرأة يستعبدها رجل

. يبدو أن رغبتها في سيطرة الرجل عليها تولد معها]
قالت هيلين وهي تنظر لليزا وتشير الى شارل :
[إنه الأخصائي النفسي المقيم : إنه أحيانا يصور نفسه في صورة الانسان الأول يمسك هراوة ويرتدي جلد دب ، لكن لاتدعيه يخدعك ، فهو حمل وديع حقا ، إن كل الرجال يجعجعون بلا طحن ...]
فرد عليها شارل محاولا إثارتها :
[هل عرفت كثيرين منهم لتحكمي عليهم ؟ ذلك ما أقوله دائما هو أن النساء نلن قدرا من الحرية أكثر من اللازم في هذا العصر . هيا أيتها المرأة اذهبي الى غرف غسل الصحون وأعدي للسيد وجبة قبل أن يجلدك]
[شاهدنا مسرحية ترويض النمرة الاسبوع الماضي ، ويبدو أن الفكرة الاساسية فيها استهوته فقد أصبح يقضي كل وقته أمام مرآة الحمام يتدرب على الزمجرة والصياح]
ونهضت وهي تقول :
[عذرا سأغيب مرة أخرى ، فأنا أعد صلصة خاصة تستخدم مع السمك ويجب ألا تحضر إلا في آخر لحظة]
سألت ليزا :
[هل أستطيع معاونتك ؟]
[شكرا ، ان كل شيء معد ، لكن تعالي لنتحدث معا لو رغبت . فأنا أتوقع أن ينهمك زوجانا في الحديث عن العمل]
وراقبهما شارل وهما يتجهان معا عبر الغرفة الى الباب والابتسامة على شفتيه وهو يقول :
[إنهما كالليل والنهار ، يكونان لوحة . ألا تعتقد هذا يا براد ؟]
أجاب الآخر باستخفاف :
[أنا أفضل أن أقول ضوء الشمس والظل ، ولكني أفهم ما تعنيه ، فهما يبرزان مدى التناقض بينهما لدرجة الكمال]
وضحكت هيلين وهي تقول :
[كل هذا الاطراء يسرني ، ان كلا منكما يدرك كم هو محظوظ . العشاء سيكون جاهزا خلال عشر دقائق]
وأعربت ليزا عن اعجابها بالمطبخ العصري لهيلين وقالت :

[لو جاءت بوني الى هنا فستحس أنها في نعيم]
وبدأت هيلين في إعداد الصلصة وهي تقول :
[رأيت المطابخ في فارلي . فهمت من براد أنه وضع خطة لتجديد كل ماهو قديم ، خاصة في المطبخ ، واجراء الاصلاحات اللازمة في المنزل كله]
[نعم سيفعل ذلك ، وسيركز هذا اساسا في الجناح الجنوبي قرب غرفة الطعام تماما . وسيأخذ بوني الى ليدز في الاسبوع القادم لتختار مايناسب المطبخ]
ونظرت اليها هيلين وهي تقول : [وماذا عنك ؟ أليس لك رأي في هذا الموضوع ؟]
[المسألة لاتؤثر علي حقا . بوني لطيفة جدا لكنها تود الا يتدخل أحد في شؤون المطبخ الذي تفضله على نفسها . وفي المرة الوحيدة التي عرضت فيها المساعدة قالت لي أن براد قدم لها كل العون الذي تريده وأنه ليس علي أن أزعج نفسي بادارة المنزل]
[إن ذلك يسر معظم النساء ، فأي عمل منزلي متعب]
وابتسمت ليزا قائلة :
[أعتقد أنه يكون كذلك لو كان القيام به كل يوم ولست أتطلع الى هذا ، فأنا أحب الطبخ فحسب]
[حسنا . هناك متسع من الوقت لتعليم بوني أن تقبل نظاما للأشياء يختلف قليلا ، فقد اعتادت أن تتولي كل شيء نظرا لمرض والدة براد وبالمناسبة كيف حالها ؟]
[أفضل كثيرا . جلست في الحديقة لمدة ساعة هذا الصباح ، وقال الطبيب انها زقوى مما كانت]
[السبب في هذا واضح تماما . أعتقد أنها كانت تشك في أن براد سيتزوج يوما ما . لابد أنها فرحت عندما رأتك . إن زواجكما هو بالفعل رواية تروى وقصة تحكى ، أليس كذلك ؟ أن تقبلي رجلا ذات يوم وتقبلي أن تتزوجيه في اليوم التالي لهو أمر غريب حقا]
[نعم كان براد مختلفا تماما عن أي رجل لقيته من قبل]
[حقا انه عظيم . إنه أعظم من رأيت بعد شارل طبعا. كان أفضل رجل في حفل زواجنا . وأعتقد أنه كان من الحكمة بالنسبة لك أن تتزوجي في

لندن بهدوء مثلما فعلت . فربما لم تكن السيدة نورتون لتستطيع أن تتحمل اجهاد حفل الزفاف]

وأحست ليزا بأن هذه فرصة مواتية لتغير الموضوع ، فقالت :

[كلا ، هل تزوجت منذ وقت طويل يا هيلين ؟]

وتلاعبت على شفتي هيلين ابتسامة وهي تقول :

[منذ ست سنوات ، وكنا ننوي أن يكون لدينا ثلاثة أطفال خلال تلك المدة، لكن الأمور لم تسر على النحو المرغوب . هل تحبين الأطفال يا ليزا ؟]

فتلعثمت وهي تقول :

[لم أفكر في الموضوع حقا . ولم يكن لي احتكاك كبير بالأطفال]

[كنت أكبر إخوتي بثماني سنوات . وكنت أكره السخافات التي يقوم بها أطفال الأسرة . كانوا يصرخون ويخربون ولا يهدأون . وكان علي أن أعتني بهم . كنت دوما أقسم بأنني عندما أتزوج فلن أنجب أطفالا على الاطلاق . ومع ذلك فإن تغيير الانسان لأفكاره أمر يدعو للدهشة]

وعندما انتهت هيلين من اعداد الصلصة قالت :

[أصبحت جاهزة سأخرج الشمام من الثلاجة ثم ندعوهما]

كانت المائدة في غرفة الطعام الملحقة معدة على نحو رائع وفي وسطها شمعدان يلقي ضوءا رقيقا يوحي بالألفة . قال شارل :

[لم كل هذه الجلبة ؟ أنا لا أرى سوى الحرص على الاشياء الرومانسية التي تتشبث النساء بوجودها عند تناول الطعام]

وأجابت زوجته دون أن تتردد :

[لأننا مخلوقات رومانسية يا عزيزي ولن تستمتع بطعامك إلا بهذه الطريقة ، المرأة العملية هي مصدر إزعاج لا ينتهي لك شخصيا]

[لا أعرف لابد أن يكون هناك ما يعوض ذلك مثل أن أعثر على جواربي بدلا من تمضية معظم وقتي وأنا أفتش في الادراج على جورب كامل]

وردت هيلين قائلة :

[تفاصيل ، تفاصيل ، دائما تفاصيل]

وأحست ليزا بأنها تحسد هيلين ، هكذا يكون الزواج عندما يمتزج الزوجان ويتفاهمان على نحو كامل مثلما تفعل هيلين وشارل . إنهما لايتبادلان الحب فحسب بل متفاهمان أيضا . ورفعت عينيها لتختلس نظرة الى براد الذي كان

جالسا أمامها عبر المائدة ، وسرعان ما تمنت لو أنها لم تفعل ذلك فقد رأت السخرية في نظرته . من الواضح أنه قرأ أفكارها مرة ثانية . ونظر شارل الى زوجته مبتسما وهو يقول :

[إنه احتفال كبير ، أليس كذلك . الواقع أنه حفل مزدوج . بداية زواجكما واكتمال زواجنا ، فقد تأكدت أمس أن هيلين حامل]

وردت هيلين بلهجة لائمة :

[هلا التزمت الهدوء يا عزيزي ولا تحدث مثل هذه الجلبة حول هذا الموضوع غير المشوق ؟]

[أنا أؤمن بتسمية الأشياء بأسمها ، وليس هناك أي شيء خطأ على الاطلاق فيما يتعلق بكلمة حامل . كيف تريدينني أن أعبر عن هذا ؟ بأن أقول ذلك الكلام الأحمق عن أنه سيكون لدينا ضيف صغير في البيت ؟]

[أريدك أن تعلن ذلك بتعبير راق]

قال براد مبتسما :

[تهانينا . ماذا تريدان ؟]

أجاب شارل بسرعة :

[أربعة توائم من نوع واحد . نريدهما مرة واحدة لنستريح بقية حياتنا . واذا فشلنا في هذا فسأقنع بما يجيء شرط ألا تكون بنتا فأنا لا أود أن أكون أقلية بين انثيين]

وتدخلت ليزا في الحديث قائلة :

[أنا سعيدة ومسرورة لكما . أخفيت عني ذلك عمدا عندما كنا في المطبخ أليس كذلك ؟]

[نعم فشارل لم يكن ليغفر لي أبدا لو أفسدت متعته بإعلان النبأ العظيم]

رد شارل بفظاعة :

[كنت فقط أستجيب لطلبك]

ورفع قدحه للضيفين وهو يقول :

[فلنشرب نخب بردا وليزا ، ارجو الا ترتكبا الغلطة نفسها التي ارتكبناها نحن وتنتظران عاما أو اثنين ؟]

فهتفت هيلين قائلة :

[شارل لم يمض أسبوع واحد على زواجنا !]

[وذلك أدعى لأن يستمعا الى صوت أهل الخبرة . أنا عادة تتاح لي الفرصة لتقديم النصيحة لشريكي الأكبر.]

ورد بردا قائلا :

[إنك عادة ليس لديك شيء جدير بسماعه . في أي حال فذلك في ذهننا ، أليس كذلك يا ليزا ؟]

وأجبرت ليزا نفسها على الابتسام وقالت :

[لو أردت أنت هذا]

وصاح شارل مهللا وهو يقول :

[ذلك ما أود سماعه ، زوجة تعرف مكانها وحدودها]

وسألها براد بسخرية :

[هل تعرفين مكانك يا ليزا ؟]

ونظرت اليه عبر المائدة وأحست بأن قلبها يخفق عندما تركزت عيناها على ملامحه القوية فقالت :

[أحيانا ، لا أزعم أني أفعل تلك دوما ، لكني أعول على ذلك كثيرا . هل تناولني الملح يا عزيزي ؟]

وهز شارل كتفيه وهو يقول :

[حسنا ، اعتقد أنك كسبت حليفا يا هيلين]

فردت زوجته وقد قطبت ما بين عينيها :

[نعم ، هل يريد أحدكم صلصة حساء اللحم]

وكانوا قد وصلوا الى مرحلة تناول القهوة عندما أعلن شارل خططه لما تبقى من الأمسية بأن قال :

[نفكر في الذهاب الى نادي فالكون كلوب . إنني عضو منذ ما يزيد على خمسة أشهر ولم نذهب سوى مرتين . هناك نستطيع أن نتمتع بالغناء والرقص]

ونظر براد الى ليزا التي كانت تجلس الى جواره وهو يقول :

[إنها تبدو فكرة طيبة ، هل تحبين أن تذهبي يا ليزا ؟]

فأجابت بمرح وإن كانت في الواقع لاتبالي :

[ولم لا ؟]

استقل الجميع سيارة براد وجلس شارل وهيلين معا في المقعد الخلفي

وامسك كل واحد منهما بيد الآخر كعاشقين شابين . وعندما وصلا الى النادي مد شارل يده لزوجته يساعدها على النزول من السيترة في حرص ينفيان ادعاءه بأنه يرفض الرومانسية ووضع براد يده تحت مرفق ليزا وهما يصعدان السلالم الى المدخل المضاء بصورة باهرة ، أعطى مفاتيحه لمنادي السيارات ليصف السيارة في الموقف .

اختيرت لهم مائدة جيدة بالقرب من حلبة الرقص ، وكان الساقي يظهر فورا عند سماعه فرقعة أصابع شارل الذي قال له بسعادة غامرة وقبل أن يستطيع أي من الحاضرين أن يبدي رأيا :

[أحضر لنا شرابا لذيذا]

ثم التفت الى زميله وسأله :

[ما رأيك في المكان يا براد ؟]

وألقى براد نظرة خاطفة على الغرفة المزدحمة وعلى ما استطاع أن يراه منها خلال ستارة الدخان الكثيفة فيها وقال :

[إنه نوع من التغيير]

زمجر شريكه وهو يقول :

[وهذا يعني أنه ليس طرازك ولا ذوقك ، لكنك على استعداد لقبوله من أجل الصحبة . العرض الغنائي الراقص الذي يقدمونه جميل للغاية . هل تحبين أن ترقصي يا ليزا ؟]

[نعم أود ذلك]

اكتظت الحلبة بالراقصين ورأت ليزا من فوق كتف شارل براد وهو يذهب الى حلبة الرقص مع هيلين ، ورأت رأسه الأسود يميل نحو رأس الأشقر ليهمس في اذنها شيئا . لكن خلال جزء من الثانية تبينت أن صاحبة الرأس الأشقر لم تكن هيلين بل هي فيليسيا التي كان يراقصها . وأحست ليزا باختناق أنفاسها . وانتهت الموسيقى وتوالت دقات الطبول ، الأمر الذي يعني العودة الى اخلاء الحلبة للعرض الغنائي الراقص . وعندما عادوا الى المائدة وصل الشراب وفتح الساقي الزجاجة وبدأ يصبها في الأقداح .

وعندما اطفئت الأنوار تناولت ليزا قدحها ووضعته بين شفتيها بيد مرتعشة حدث لها شيء ما وهي في الحلبة عندما رأت الرجل الذي تزوجته يراقص امرأة أخرى . لقد انهار شيء ما في أعماقها . واستمر العرض الغنائي الراقص

أربعين دقيقة لكنها لم تر سوى القليل منه .وعندما استؤنف الرقص قاد شارل هيلين الى الحلبة لكن براد لم يبد حراكا لمجاراته . وجلسا صامتين لكن ليزا قطعت هذا الصمت سائلة : [هل يمكن أن تعطيني سيكارة من فضلك ؟]

ورفع حاجبيه اندهاشا وسأل :

[أنت لا تدخنين ؟]

[لم أجرب ذلك أبدا . وربما كان علي أن أكتشف ما ينقصني]

قال بهدوء وهو يخرج علبة سكائره ويضعها أمامها :

[خذي ما تشائين]

أخذت ليزا سيكارة ذات فلتر ووضعتها بين شفتيها ومالت برأسها على الولاعة التي يمسكها دون أن تنظر اليه . وشعرت بحريق في فمها وقاومت السعال وبذلت في ذلك جهدا كبيرا ، ومدت يدها الى قدح وهي تأمل أن تبدو طبيعية .

[ألاتعتقدين أنك تبالغين ؟لماذا تتصرفين هكذا ؟هل تحاولين أن تنسي ؟]

وفي حركة تحد واضحة رفعت القدح لمستوى العين حتى ينعكس الضوء على السائل الذي يبرق وهي تقول :

[إن كل ما في العالم من هذه المشروبات لا يكفي ليجعلني أنسى]

ثم وضعت القدح بين شفتيها ورشفت ما فيه بتمهل وأعادته الى المائدة . وردت على نظرته بابتسامة مشرقة وهي تقول :

[لكنه ييسر الأمر]

وغامت عيناه وتصلب فمه وتقلص فكاه وهو ينظر اليها وسألها بصوت منخفض :

[هل تعتقدين أن هذه الأمسية كانت سهلة بالنسبة لي أنا أيضا ؟ هل تعتقدين أني سعدت بمقارنة ما لدى شارل وهيلين بالوضع المضحك القائم بيننا ؟]

وأطفأ سيكارته بعصبية وهو يقول :

[من الأفضل أن نرقص قبل أن أدق عنقك ؟]

وعادت الى الحلبة بإحساس أنها تطفو في الهواء . وشعرت بأن جزءا منها منفصل كما لو كانت تراقب نفسها عن بعد ، في حين كان قسم منها بين ذراعي براد . ولفت ذراعيها حول رقبته وابتسمت . وكانت تعرف أن الأمسية

لا يمكن أن تستمر الى الأبد ، وإنها بعد فترة ستصبح وحدها معه ، لكن في اللحظة الراهنة لم يبد لها ذلك مهما . لم يبد أي شيء مهما وقالت له وهى تضحك :

[لا تحملق في هكذا يا عزيزي . شارل ينظر الينا ويجب ألا يكتشف أي خطأ أليس كذلك ؟]

[كفي عن هذا . ما الذي ترمين اليه ؟]

[هذا هو ما كنت تريده ، أليس كذلك . زوجة يفترض فيها أنها مدلهة في حب زوجها الوسيم . أنت لا تجعل الأمر سهلا يا عزيزي]

وأخذ نفسا حادا وشد ذراعيه حولها بصورة مؤلمة وقال في اقتضاب :

[سأجعل الأمر سهلا بالنسبة اليك ، اذا كان ذلك ما تريدينه] ونظر الى وجهها وعيناه تتفرسان فيها وقال :

[لكن تذكري أنك أنت التي بدأت هذا]

وبعد ذلك أصبحت الأمسية شيئا ضبابيا تتذكره ليزا بصورة غامضة ، فهي تذكر أنها أخذت تضحك وتتحدث مع الآخرين وأنها رقصت مرة ثانية مع شارل وأنها لاحظت عيني براد وهما تزدادان برودة وقسوة . غادروا النادي في الساعة الثانية عشرة عائدين بالسيارة الى الشقة . خرج شارل وهيلين من السيارة وأخذ شارل يضحك وهو يقول :

[ألا تودان الصعود معنا لتناول القهوة ؟]

وهز براد رأسه وقال :

[شكرا ، أفضل أن نمضي في طريقنا . كان يوما طويلا]

وبدأت ساعة تدق في مكان ما من المدينة وصاحت هيلين :

[إنه عيد ميلادك يا براد ، كل سنة وأنت طيب ! عليك أن تصعد معنا الآن فلدينا هدية لك]

[سأمر غدا وأخذها . شكرا على العشاء يا هيلين كان رائعا]

قالت هيلين وهي تنظر في السيارة :

[نامت ليزا تقريبا]

لكن ليزا استدارت برأسها بصعوبة ورسمت على وجهها ابتسامة مصطنعة وقالت :

[كلا ، لم أنم . كنت أريح عيني فحسب]

قال براد :

[تصبحون على خير] وبدأ في تشغيل محرك السيارة والانطلاق بها . ولم ينطق بكلمة طوال الطريق الى فارلي ، لم ينظر الى ليزا ولو لمرة واحدة . لكنها كانت هي تنظر اليه بين الحين والآخر وفي كل مرة كانت ملامحه تشتد قسوة . وبدأت آثار السهر تتبخر ، وأخذت تستعيد إدراكها للأمور . كانت الساعة الأخيرة خليطا من الذكريات تبدو واحدة منها واضحة بجلاء وهي التي قال براد فيها :

[تذكري أنك أنت التي بدأت هذا]

وعندما وصلا أمام المنزل نظر اليها وهو يفتح الباب ويقول :

[انزلي وادخلي . سأضع السيارة في مكانها]

كانت بوني قد تركت بعض الأنوار مضاءة في الردهة . بدت الصالة باردة وموحشة بتلك الألواح المفروشة على أرضيتها . ومضت الى غرفتها وشعرت بالسرور لأن بوني أشعلت نار المدفأة برغم أن الليلة كانت دافئة . والقت نظرة على الغرفة وأضاءت النور وألقت معطفها على الكرسي وجلست تترقب وقع خطوات براد . وعندما سمعتها أحست بالتوتر ، ووجدت نفسها تعد هذه الخطوات وتصورت أنها أبطأت عندما اقتربت من غرفتها .

ربما تباطأت الخطوات لكنها لم تتوقف وبعد لحظة سمعت باب غرفة الملابس يفتح ويغلق . وهي غير متزنة الى حد ما ، وسارت الى الحمام وفتحت الدش ، وتحت ستار الضجة المنبعثة منه مضت الى الباب الموصل بينهما وأغلقته مثلما فعلت في الليالي الأربع الماضية . ثم ما لبثت أن فتحته وعادت الى الحمام وعندما انتهت أغلقت بابه بصورة تسمع حتى يعرف أنها أتمت حمامها . ثم استندت اليه وهي تشعر بالإرهاق وضغطت بيديها على خديها . الحمام جعلها تتنبه ، لكنه لم يخلصها من اثار تلك السهرة .

كانت في سريرها عندما بدأ الدش يعمل ثانية .واستاقت تستمتع الى صوت انسياب المياه وهي تأمل في أن يخلصها النوم من الأفكار المزعجة التي تتصارع في رأسها مثل حيوانات وقعت في الفخ . لقد تزوجت براد منذ خمسة أيام ، كانت كلها جحيما وعذابا . والأهم من ذلك كم من الأيام ستظل تقاسي ؟ كم من الليالي ستستلقي هنا في عذاب وأرق تستعيد السعادة التي يعيش فيها الزوجان شارل وهيلين .

. وتوقف صوت الدش ، وساد الصمت ، وانساب ضوء القمر من النافذة حاملا معه خيالات الأشجار ذات الأشكال المشوهة . وأدارت ليزا رأسها صوب السماء الصافية وهي السماء ذات النجوم نفسها التي شاهدتها نساء آل نورتون السابقات وهن مستلقيات في المكان نفسه . إن رجال نورتون قساة حتى اليسيا نفسها أقرت بذلك . هل عرف أحدهم الحب الحقيقي الذي تريده المرأة وتحتاج اليه ؟ أم أن تلك العاطفة تعني لديهم السيطرة فحسب ؟

وانفتح الباب في الطرف الآخر من الغرفة على نحو مفاجيء فهبت جالسة في سريرها ، وضمت ملابسها على جسمها وحملقت في الشخص الطويل الواقف أمامها ، وقلبها يدق على نحو مؤلم . قالت بصوت خفيض :

[ماذا تريد ؟]

وأغلق براد الباب وراءه وسار الى السرير وقال بصوت قاس :

[أليس هذا سؤالا سطحيا ؟ أم تتخيلين أني لم أكن أعني ما قلته منذ فترة ؟ إن هذه المهزلة استمرت أطول من اللازم]

[استمرت خمسة أيام . هل هذا هو أقصى ما تتحمله ؟]

جلس الى جانبها وأمسكها من كتفيها وأراحها على الوسادة وهو يقول :

[هذه المرة يا ليزا ليس هناك مفر]

٩ ـ اللوحة !

كان آب (اغسطس) شهرا حارا شديد الرطوبة ، نادرا ما هبت فيه نسمة هواء لترطب جباه الرجال الذين كانوا يعملون في فارلي . ومع ذلك فإن المشروبات المثلجة التي كان المالك يزودهم بكميات منها ، كانت تبقي ارادتهم على العمل قوية .

وبالنسبة الى ليزا كان النشاط المكثف في المنزل وما حوله يسليها . ولذلك فقد أغرقت نفسها في العمل وحظيت باحترام الرجال وتقديرهم ، وتحملوا عن طيب خاطر رغبتها فى التعلم واستطاعت بسرعة أن تلم بكل مبادي العمل .وتدريجيا بدأ بعض النظام يعود من هذا الخضم من الفوضى الذي ساد في الايام الأولى . وتم إصلاح الأرضيات التي كانت قد فسدت ، بدأ عمال الديكور عملهم .

وفي هذه الأثناء جرى استخدام غرفتين في الجانب الشمالي من المنزل لتناول الطعام والجلوس.لم تكونا مناسبتين بسبب رطوبتهما ورائحة التحلل السائدة في جدرانهما ومع ذلك كانتا محتملتين كمكان مؤقت . أوشك المطبخ الجديد أن ينتهي وتمت تغطية جدران الغرفة المشمسة الواسعة التي اختيرت لتحويلها الى مطبخ بالبلاستيك أصفر اللون وكانت المعدات التي اختارتها بوني ملائمة تماما . وكانت بوني تنتظر على أحر من الجمر اليوم الذي تستطيع فيه أن تعد الطعام في الفرن الجديد الرائع .

وبما أن الجو أصبح لطيفا فقد كانت والدة براد تمضي فترة الصباح على سطحية الجناح الشمالي تنعم بالهدوء وتستمتع بأشعة الشمس . وكان على ليزا أن تحضر لها القهوة والبسكويت في الساعة الحادية عشرة ، وتجلس معها تتحدثان . كانت أليسيا تحب الحديث عن إبنها ، عندما كان طفلا وصبيا

وكيف أنه أصبح شبيها بأبيه ، وقالت ذات مرة :

[كانا صديقين ، يفهم أحدهما الآخر . هكذا يجب أن تكون الأمور بين الأب والإبن ، لكن هذا نادرا ما يحدث . وعندما قتل ماثيو كانت صدمة براد أكبر من صدمتي نوعا ما . ومع أن الزمن يداوي الأحزان فإني أحيانا أعتقد أن جرحه مازال حتى الآن ينزف كما كان عندما جاءت الشرطة لتبلغنا بالحادث . أما الآن وقد حصل عليك فقد يبدأ إحساسه بالضياع يتلاشى . الانسان يحتاج الى من يستطيع أن يفتح له قلبه .]

وردت ليزا وهي تبتلع ريقها وتتساءل عما ستقوله أليسيا لو عرفت مدى ثقة براد فيها لدرجة أنه لم يخبرها حتى بالطريقة التي مات بها أبوه :

[كنت أنت موجودة طوال هذه السنوات]

[يا عزيزتي ، إن براد مثل كل الأولاد كف عن أن يثق بي منذ أن بلغ الى سن المراهقة . ان موقف الصبي من أمه يتعرض لتغيير عندما يصل الى سن البلوغ فيحس تجاهها بالحب والاحترام لو كانت تستحقهما ، لكن افاقه تتسع ويبدأ في ردراك أن المرأة يمكن أن تكون أكثر من مجرد ملاذ في المحن وصوت مطمئن في الليل ، وعندئذ على الأم أن تدرك أن عليها أن تسمح للصبي بأن يغدو رجلا]

وتنهدت أليسيا ثم استطردت قائلة :

[إنه وقت صعب ذلك الذي تواجهين فيه حقيقة أنه ينبغي عليك في يوم ما أن تتخلي عن كل الحقوق السابقة من أجل الحصول على مودته واهتمامه ، لكن الانسان يقبل ذلك تدريجيا باعتباره أمرا محتما ، ويضع كل أمله في أن المرأة التي سيتزوجها ستكون بارة ومتفهمة بقدر كاف لتتخلي عن ذلك الركن الذي لا يخصها من قلبه]

وابتسمت وأضافت :

[وفي حالتي لا أعتقد أن مثل هذا الأمل خاب . أنت مستاءة مني يا ليزا أليس كذلك ؟]

لم تكن ليزا قادرة على أن تتذكر ما قالته كرد على هذا السؤال ، برغم أنها متأكدة من أنها أعطت الرد السليم ، لأن أليسيا ربتت على يدها . لقد كانت اللحظات قاسية بالنسبة اليها ، لأنها كانت تدرك أنه لك يكن لها مكان في قلب براد لتطالب به . لقد فرض ارادته وجعل زواجهما حقيقة لكنه لم

يحبها. لكن ماذا سيحدث عندما تخبو رغبته ، كما لابد أن يحدث ذات يوم ؟ هل سيدعها تذهب ؟ أم سيتوقع منها أن تبقى باعتبارها سيدة فارلي حفاظا على سمعة الأسرة في حين يزداد عدم مبالاته بها كامرأة ؟ إن الأمر الأخير سيكون أقسى من أي شيء آخر .

وأخذ الصيف يتراجع ببطء في الريف المحيط بفارلي . واكتست مناطق المستنقعات البرية التي تجاوز المنزل بلون أرجواني بهيج لكثرة أزهار الشجيرات التي تنمو فيها . واكتست التلال بموجات من الزهور والورود وبدأت الطيور تتجمع معا لتهاجر الى أماكن أكثر دفئا . ولم يكن للوقت اهمية كبيرة لدى ليزا . واعتادت أن تقبل بينهما وبين براد . لم يكن الأمر سهلا . وكان فتور شعورها يثير حنقة بحيث يبدو في بعض الاحيان وكأنه يود أن يقبض على كتفيها ويهزها بعنف . وفي احدى المناسبات هتف بها :

[متى ستكبرين ؟ متى ستكفين عن خداع نفسك ؟

فأجابت :

[لا أعرف ما تقصده]

فضحك بسخرية وهو يقول :

[نعم إنك تفعلين ذلك . أنت تعرفين ما أعنيه على وجه الدقة]

وتوقف عند هذا وهو يراقب اللون الذى يتصاعد الى خديها، وأضاف قائلا: [كلا، يا حلوة، أنك تريدين أن تبقى معى بقدر ما أريدك، لكن تلك الكبرياء الحمقاء لا تدعك تعترفين بهذا.]

وتحولت ليزا عنه، فلم تعد قادرة على أن تتحمل المزيد من تحديقه الساخر فيها، كذلك كانت تخشى أن يضمها كما فعل منذ لحظة مضت، وفى هذه المرة ستضطر الى أن تستجيب. وتساءلت عما كانت ستفعله فى فارلى طوال تلك الاسابيع ليخفف عنها وطأة التوتر. فالجو كله فى الكوخ كان مختلفا : جو مريح، سلمى، هادىء، وكان ليوك يبدو دوما مستجيبا لحالتها المزاجية. وكان عادة يأخذ فى الرسم، فى حين تجلس هى فى أحد المقاعد تراقبه، ونادرا ما يتبادلان كلمة طوال الوقت الذى تقضيه عنده.

وعندما جاءت اليه ذات أصيل من الباب الخلفى لمنزله، فى الوقت الذى كان يضع اللمسات الأخيرة فى لوحة عن مستنقعات كرافن، قال لها:

[تبدين شاحبة. إنك تبذلين جهدا كبيرا فى المنزل.]

وتركزت عيناها على التلال البعيدة، وهي تقول:
[الواقع أني لا أفعل سوى القليل. وأوه لو كان هناك المزيد لأعمله. العمل يساعد على قتل الوقت.]
[تريدين قتل الوقت في سنك هذه ؟ إن الشباب عادة يشكون من ضيق الوقت وعدم كفايته]
فتباطأت كلماتها وهي تقول :
[الجيل الذي تتحدث عنه يا ليوك ليس جيلي أنا في مرحلة وسط .. تجاوزت سن المراهقة ،مع ذلك أكون أحيانا حائرة كأنني في السابعة عشرة]
[هل تعنين أنك لم تجدي نفسك بعد ؟ إن البعض لايجد نفسه أبدا يا ليزا . النضج لايرتبط بعدد السنين ، ونادرا مايكون فهم الانسان لإعماقه أمرا ميسورا]
كانت تجلس على العشب ، تهز ركبتيها بذراعيها كطفل ، وعيناها المفعمتان حيوية مركزتان على وجهه .
[هل وجدت سعادتك يا ليوك ؟]
بقي فترة صامتة قبل أن يجيب :
[السعادة . إنها تعني أشياء متباينة للغاية لدى الناس . قد يكون الكاتب براون اقترب من السر عندما قال: إن المشكلة المشتركة ، مشكلتك ومشكلتي ، مشكلة أي شخص هي كيف نتجنب التباكي على ما كان يعد وضعا أمثل ، وأن نتوصل الي ما يمكن أن يتحقق ثم نجد الطريقة لجعله وضعا أمثل بالوسائل المتاحة لنا .
وهكذا يصل الانسان الى الوفاق مع نفسه ، ويقبل مالا يمكن أن يتغير وأن يستفيد منه على خير وجه . وأنا لدي رسومي وقد كيفت نفسي مع الحياة التي أعيشها]
قالت له : [لكنك مكتف ذاتيا ، ولا تحتاج الى أحد ؟]
[هذا ماقالته لي زوجتي مرة . وهو ليس صحيحا طبعا . فليس هناك إنسان مكتف ذاتيا في صورة كاملة]
ورفعت رأسها وحدقت فيه وهي تقول :
[لم أكن أعرف أنك متزوج]
[لست متزوجا الآن]

[ماذا حدث ؟]

[قالت لي أنه علي أن أختار بين الرسم وبينها . وكانت حاجتي الى الرسم أكبر من حاجتي اليها . كان الأمر بسيطا على هذا النحو]

[ألم يكن في الإمكان الوصول الى حل وسط ؟]

[لم تكن إيلين تريد حلا وسطا كانت تريدني بشروطها كاملة وإلا فلا]

وابتسم والارهاق باد عليه وأضاف :

[لايمكن أن نلومها . إنها لم تمارس حياتها خلال السنوات الست لزواجنا : فقد كالنت تعيش في الفندق ولم تتفق مع أمي ، كما كانت تقضي أشهر الشتاء الطويلة فيما يشبه الحبس الانفرادي لأني كنت مستغرقا في عالم لم تستطع ولم تشأ أن تشارك فيه . وعندما قلت أني سأبيع الفندق بعد موت أمي ، أعتقد أنها تصورت أننا سنبدأ بداية جديدة . إنها لم تستطع أن تفهم أن هذا التدفق المفاجيء للنقود في يدي لم يغير شيئا مما كنته أو مما أردت أن أكونه . ثم انفصلنا ، وتم الطلاق بيننا . وكان ذلك هو الحل الوحيد . إن الغلطة التي ارتكبتها هي أنها تزوجتني أصلا]

[لأنك لم تكن تحبها ؟]

[كلا ، بل لأنها لم تحبني على نحو كاف لبذل الجهد للتقريب بيننا]

[لكن ليس هذا عدلا ، فالزواج قضية مشتركة ومن المؤكد أن الجهد يجب أن يأتي من الطرفين]

وكانت ابتسامة ليوك جافة وهو يقول :

[إن الزواج يا طفلتي هو اختراع نسائي ومسؤولية إنجاحه تقع على عاتق المرأة . اذ كنت ترين أن هذا عدلا . فهو كذلك فعلا . لكن ذلك هو نظام الرجل ، ونحن جنس إنساني في مجموعنا . إن الحب بالنسبة للنساء هو كل شيء ، لكنه جانب فحسب من حياة الرجل . وعندما تتعلم المرأة أن تقبل هذا فأنها تكون عندئذ فقط في طريقها الى النضج]

ثم غير الموضوع فجأة بقوله :

[هل يمكن أن تتركيني لأرسم ؟]

[هل تريد ذلك حقا ؟]

[توقفت عن مغازلة النساء منذ وقت طويل . إن افتقارك الى الخيلاء أمر رائع يا ليزا]

[لماذا أنا على وجه التحديد ؟]
[لأن لك ميزة معينة أود أن أسجلها على لوحة قدر استطاعتي] .
ثم نظر الى ساعته وقال :
[تجاوزت الساعة الثالثة بقليل . هل يمكن أن نبدأ الآن ؟]
[لو أردت . اذا شئت]
[لنبدأ]
ورفع ليوك اللوحة التي لم تتم من على الحامل وقال :
[سأحمل هذه اللوحة الى الداخل لتجف وأحضر ما أحتاج اليه . ويمكن أن ننقل كل الأدوات الى ضفة النهر]
وبعد عشر دقائق كانا في الموضع الذي أراده حيث كانت شجرتا صفصاف تسدلان فروعها في الماء ، وجعلها تقف في مكان تزداد فيه كثافة أوراقهما والفروع تمتد من حولها ورأسها مرفوع ينظر الى اليد التي تمسك بفرع صغير : [أمسكيه هكذا]
ومن الحامل الذي اقامه على بعد أقدام قليلة منها أخذ يتأملها لبرهة وجيزة ثم أومأ الرضى وتناول فرشاته وقال :
[إن الضوء ملائم تماما لما أريده . سنكرر هذا في الموعد نفسه من كل يوم]
[لست متأكدة ما اذا كنت أستطيع أن أرتب هذا]
خشيت أن يثير غيابها المتكرر في الموعد نفسه من كل يوم تعليقا من أليسيا أو من بوني أمام براد وفي حضوره ، الأمر الذي يفتح الباب أمام مشاكل لاتعد ولاتحصى ، هي في غنى عنها خاصة أنها لم تحدثه عن لقائها مع ليوك
قال لها ليوك بلهجة حازمة :
[عليك أن تفعلي هذا ، فهذا شيء لاأستطيع أن أؤجله ثم أستأنفه على هواك وحسب رغباتك . حركت رأسك . ابقيها في مكانها بلا حراك]
وخلال نصف الساعة التالي اكتشفت ليزا حقيقة جديدة هي أن ليوك الفنان يختلف تماما وبصورة جذرية عن ليوك الانسان . تبددت لهجة الود التي كان يكلمها بها ، كذلك تلاشت ابتسامة التفهم التي كان يتميز بها والتي أعجبتها كثيرا ، اذ كان يزمجر صائحا وموبخا لو تجرأت على التحرك وفرض عليها الصمت والسكون عندما حاولت أن تتحدث وتثرثر وهو يرسمها .
وشعرت بالسرور والفرحة الى أقصى حد عندما استدارت الشمس من مكانها

بدرجة جعلته يقرر وهو كاره أن ما تم يكفي لهذا اليوم ، وجلست على العشب منهكة وهي تزفر بارتياح واسترخاء ، وتحرك قدميها اللتين أصابهما الخدر من طول وقوفها حتى باتت لاتحس بهما وبعد أن استراحت قليلا قالت:

[أنا أشعر بالامتنان والشكر لله أني لست نموذجا للفنانين لكل الوقت . كيف يتحملن كل هذا العنت والارهاق ؟]

وانفجر ليوك ضاحكا وقد استعاد حالته الطبيعيه بعد أن انتهى من دوره كفنان وقال لها :

[أسف تماما اذ كنت فظا نوعا مامعك لكن أرجو أن تقدري موقفي ، فكم يكون مرهقا ومثيرا للأعصاب أن ترفعي عينيك من على اللوحة لتفاجئي بأن الزاوية التي ترسمين منها تغيرت كلية]

وبدأ يجمع حاجاته بتمهل ويرتبها بعناية ثم قال :

[ستجدين ان الأمر أسهل لك لو ركزت تفكيرك أثناء وقوفك أمامي في شيء آخر واستغرقت فيه]

[مثل ماذا ؟]

[أي شيء تحبينه وتفضلينه ويستهويك التفكير فيه لأنه يبعث فيك سعادة وحيوية . وبهذه المناسبة كيف يمضي العمل في المنزل ؟ هل يسير على مايرام وفق خططكم وتصوراتكم ؟]

وأجابت في حماسة بدت واضحة في صوتها الذي اكتسب حيوية :

[يسير سيرا حسنا للغاية . أوشك العمل في الجناح الجنوبي أن يكتمل ، ومما يثير الاهتمام والاندهاش أن تعرف أن فارلي سيصمد لمدة قرنين آخرين من الزمان على الأقل]

[لابد من الحرص على القيم القديمة في هذا العالم المتغير دوما على أن يصحب هذا القيام بعملية تنسيق ناجحة ومستمرة بين القديم والجديد]

وصمت ليوك لبرهة ثم أضاف :

[الواقع أني أرى براد محظوظا للغاية]

ونظرت اليه نظرة سريعة وهي تسأله باهتمام ولهفة [لماذا]

[لأن له زوجة تشاركه اهتماماته وتتفهم مواقفه ودوافعه وتقدرها]

وطوى الحامل وهو ينظر اليها ويقول :

[حان وقت تناول الشاي . هل نعود الى المنزل لتناول البعض منه ؟]
وهزت ليزا رأسها وهي تقف وتنفض ثوبها مما علق به من حشائش ثم قالت:
[من الأفضل أن أعود الى المنزل فأنا عادة أتناول الشاي مع والدة براد في غرفتها . وستتساءل أين أنا إن لم أذهب اليها . وأنا لا أحب أن أتأخر عن موعدي معها فهي سيدة لطيفة ومحبوبة والجلسة معها ممتعة]
[تستطيعين إخبارها أين كنت عندما تعودين]
[كلا فقد تساورها الظنون]
وعندئذ رأت حاجبيه يرتفعان تعبيرا عن الدهشة فتلعثمت وأضافت :
[أنا .. أنا أقصد ...]
وأصبحت نظراته فجأة حادة على نحو غير متوقع وهو يقول لها :
[أعتقد أنك تقصدين أنك لم تخبري براد أو أي شخص آخر بأنك تعرفينني . لماذا فعلت ذلك وماهو سبب إخفاء زيارتك لي ؟]
وارتبكت وأحست بالحيرة والاضطراب وهي تقول مغمغمة :
[لا أعرف ، افترضت أن هذا الأمر غير مهم وأنه ليس علي أن أحدثه عن هذه الزيارات]
وبدت رنة الشك واضحة في صوته وهو يقول :
[إنها لم تكن زيارة فقد اعتدت أن تجيئي الى هنا مرتين أو ثلاث مرات في كل أسبوع خلال الشهرين الماضيين . هل أنت خائفة من زوجك يا ليزا ؟ هل تخشينه الى هذا الحد ؟
واستدارت بعيدا هاربة عن نظراته ، وبدت عضلات خديها متوترة وهي تقول:
[سؤال سخيف . هل كنت أتزوجه لو أني أخافه ؟]
وتمهل بعض الوقت ثم قال :
[ذلك يتوقف على أمور كثيرة . ففي بعض الاحيان قد تضطر الظروف شخصا الى القيام بأعمال لايرغب فيها . ربما أجبرك بوسيلة ما لم تستطيعي التهرب منها . ربما تزوجته من أجل المال ؟
[ماذا تقصد بهذا ؟ ما معنى كلامك ؟ في الحقيقة لم أستوعب تماما ما فعلته]

[قلت ببساطة أنك ببساطة تبالغين فيما تتوقعين الحصول عليه من براد كزوج]

وفكرت ليزا في أن كلامه هذا حقيقي وصادق ولايخالف الواقع في شيء لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل عن عدد الناس الذين يعانون من مثل هذه التقلبات والاهتزازات التي تتعرض هي لها والتي تعاني منها منذ زواجها من براد الذي لم يمض عليه وقت طويل حقا ؟ هل ستتصرف أية امرأة أخرى بطريقة مختلفة عما تصرفت هي أراء هذا الوضع الذي وجدت نفسها فيه بعد زواجها ؟ وتنهدت وقالت لليوك :

[سأراك غدا ؟ في الموعد نفسه كما اتفقنا]

ولم يحاول اعتراضها وهي تمضي في طريقها مبتعدة عنه .

فى الساعة الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم أتصل براد هاتفيا ليقول لها أنه لن يعود الى المنزل لتناول العشاء وأنه سيستمر في العمل في المكتب حتى وقت متأخر لإنجاز بعض الاعمال الضرورية الطارئة التى لاتحتمل تأجيلا أو تأخيرا . وتساءلت ليزا وهي تحس بأنهيار لا حدود له عما إذا كان هذا التأخير عن العودة للمنزل سيستمر الي مل لا نهاية وسألت:

[متى ستعود لأخبر بونى بأن تبقى لك الطعام ساخنا؟]

[لا تشغلى بالك. سآكل فى المدينة.] وسكت برهة ثم سأل:

[هل كل شيء على ما يرام؟]

[هل كل شيء رائع. انتهى الرجال من العمل لهذا اليوم. وليست هناك أية مشاكل على الاطلاق، والامور تسير سيرا حسنا.]

[الى اللقاء يا ليزا]

بعد الصخب والضجيج خلال النهار جاء المساء بصمتة الرهيب وسكونه الذي كاد أن يصبح شيئا ملموسا . وفي الساعة التاسعة تمنت ليزا ليلة سعيدة لأليسيا ومضت في طريقها عبر الدهليز المفضي الى الممر الموصل الى غرفة نومها واستراحت أعلى السلم نصف الوقت ، وفكرت في أن الوقت لايزال مبكرا على النوم . وربما كان الكتاب عونا على تمضية الوقت حتى يداعب النوم جفنيها . وعندما نزلت من جديد الى الردهة اعترفت بأنها تفتقد صحبة براد عندما يكون في الخارج في المساء وهي وحيدة في المنزل ، أنها تحس بالإطمئنان والراحة في رفقته برغم كل شيء . فهما عادة يجدان الكثير من

المواضيع يطرقانها ، والحديث بينهما دوما لا يتعثر ولا يتوقف .

وعندما وصلت الى أسفل السلم رن جرس الهاتف عاليا مدويا ، ربما كان براد هو الذي يتصل ليقول لها أنه في طريق عودته الى المنزل . ومضت من فورها وهي تسرع الخطى الى المنضدة التي تحمل الهاتف ورفعت السماعة وقالت :

[هالو]

ورد عليها صوت مألوف لديها يقول :

[هل يمكن أن أكلم براد يا ليزا من فضلك ؟]

وتذكرت على الفور صاحب الصوت وقالت له :

[إنه ليس في البيت يا شارل ، من أين تتكلم ؟]

[من المكتب ، هل لديك أي فكرة عن المكان الذي يمكن أن يكون قد ذهب اليه ؟]

وسألت ليزا بحرص :

[متى غادر المكتب ؟]

[في السابعة . خرجنا معا . ورجعت أنا منذ دقائق مضت لأراجع شيئا ما . وظننت أنه لابد أن يكون الآن قد عاد الى المنزل]

[قال إنه سيتناول طعامه في المدينة . أتوقع عودته في أي وقت . هل أطلب منه أن يتصل بك عند عودته ؟]

[سأبقى هنا ربع ساعة وبعد ذلك سأذهب الى المنزل . ومن الضروري أن أحدثه الليلة . أرجو أن تطلبي الى أن يتصل بي فور عودته الى المنزل]

[سأتأكد تماما من أنه سيتلقى رسالتك فور عودته الى البيت ، وسأخطره بأهمية اتصاله بك الليلة . كيف حال هيلين ؟ أرجو أن تكون على أحسن حال]

[إنها مليئة بالحيوية والنشاط . قالت لي الليلة الماضية أنه سيكون من الأفضل لنا جميعا أن نلتقي مرة ثانية]

[حالما ينتهي العمل في الجناح الجنوبي فلابد أن تأتوا لزيارتنا]

وعندما وضعت السماعة كانت ساعة الردهة تدق معلنة التاسعة والربع . وظلت واقفة حيث هي مدة طويلة تحدق في جهاز الهاتف . قالت لنفسها أنها كانت تستطيع أن تقول لشارل أين يمكنه أن يجد براد . من الواضح تماما أنه

ذهب لرؤية فيلهسيا فهو لاشك يراها باستمرار ، وهو على وجه التحديد لم يكن يتصور أن شارل سيتصل به في المنزل بعد افتراقهما ويسبب له الاحراج .
وشعرت بأنها تكاد تبلغ أقسى درجات التعاسة .

١٠ ـ ألسر ا

كانت عقارب الساعة تشير الى العاشرة والربع عندما سمعت ليزا صوت سيارة آتية ثم توقفت أمام المنزل ، وظلت ليزا جالسة حيث كانت على المقعد الوثير ذي المساند والظهر المرتفع قرب النافذة . وأخذت تسمع وقع خطوات براد وهو عائد الى المنزل بعد أن وضع السيارة في الكاراج ثم مالبثت أن سمعت صوت صرير الباب وهو يغلق خلفه فأدركت أنه دخل الى المنزل .

وبعد ذلك بخمس دقائق رأته يفتح باب غرفة النوم ويقف على العتبة وينظر الى حيث جلست في ضوء القمر .

[ماذا تفعلين وأنت جالسة هكذا في الظلام؟هل نمت ثم استيقظت؟]

ومد يده وأضاء المصباح الموجود على منضدة في جوار مدخل الغرفة مباشرة . فردت ليزا بهدوء وهي تنظر اليه :

[كلا لم أنم ، بل كنت جالسة أفكر]

وهبت واقفة واتجهت الى طاولة الزينة وجلست أمام المرآة وتناولت فرشاة وبدأت ترتب شعرها النسدل على كتفيها . واستطاعت أن ترى في المرآة براد وهو واقف في مكانه يحدق فيها . قالت له بصوت رقيق ناعم :

[لابد أنك متعب فلقد كان اليوم طويلا]

[نعم لقد كان كذلك فعلا]

تقدم اليها وترك الباب ينغلق خلفه ثم مالبث أن قال وهو ينظر اليها :

[لكن هناك تعويض عن هذا التعب يخفف عن الانسان الإرهاق الذي لاقاه]

[اتصل بك شارل هاتفيا ، وهو يريدك أن تتصل به الليلة من كل بد]

[ألم يقل لك من أجل ماذا يريدني أن أتصل به ؟]

[كلا ، لم يقل على الاطلاق . أصر على أن تتصل به الليلة]
[أعتقد أنه من الأفضل أن إذهب وأرى ما يريد . لابد من وصل خط داخلي الى هذه الغرفة حتى يمكن الحديث منها دون حاجة الى الذهاب الى مكان آخر]
وأستدار على عقبيه ومضى متجها الى باب غرفة النوم ثم وضع يده على مقبضه ووقف واستدار ببطء لينظر اليها ويقول :
[لو أن شارلي أتصل هاتفيا فلابد أنه قال لك أنني غادرت المكتب في الساعة السابعة]
وأختلجت الفرشاة في يدها وردت : [نعم أخبرني بذلك فعلا]
عندئذ قفل براد راجعا عبر الغرفة وجذبها بذراعيه وجعلها تستدير وهي جالسة على الكرسي الدوار لتواجهه ولتنظر في وجهه مباشرة وهو يقول :
[ما الذي كنت تحاولين أن تتصيديه من كلامي ؟ أين تعتقدين أني ذهبت منذ أن تركت المكتب الساعة السابعة ؟]
[واضح تماما أين كنت ، أليس كذلك ؟]
وتأمل وجهها المتورد مليا لبرهة طويلة ثم سألها ساخرا :
[هل هو واضح ؟ هل لك أن تخبريني بهذا لو تكرمت ؟]
[كنت مع فيليسيا . هل تعتقد أني بلهاء يا براد ، وأني لا أعرف ماذا يدور بينكما ؟ سمعت حديثك اليها في الهاتف في تلك الليلة التي ذهبنا فيها عند هيلين وشارل ومن ثم فلا تتعب نفسك في محاولة فاشلة للإنكار]
لكن براد لم يحاول أبدا الإنكار . كان ينظر اليها في دهشة وفجأة ارتسمت ابتسامة بطيئة على وجهه حتى غطته كله وسألها ساخرا :
[هل أنت غيورة بالفعل أم أنك تتصنعين الغيرة ؟]
[أنا أكرهك]
وضحك وهو يرفع وجهها اليه ونظر في عينيها مباشرة و يقول :
[مازلت أحيا حتى الآن برغم تهديدك بكرهك لي]
واتجه نحو السرير وهو يقول : [سيكون على شارل أن ينتظر]
استيقظت ليزا على أنوار الصباح الأولى . واستلقت ساكنة وعيناها تتجهان الى الوجه نصف المدفون في الوسادة الى جوارها . كانت الملامح القوية تبدو أكثر شبابا أثناء النوم بل تبدو كملامح فتى والخط المتصلب القاسي لفمه

أخلى مكانه لطيف ابتسامة كما لو كان يرى أحلاما سعيدة سارة .

وأخذت تستعيد ما جرى بالليلة الماضية وتذكرت أنه حتى لم يرد على اتهامها له بأنه كان مع فيليسيا . بل أنه لم يغضب لذلك أصلا ، الأمر الذي يؤكد من أنه مذنب . وشعرت بالألم يجتاح جوانبها فقد أصبح هناك فارق الآن ، ذلك أنها أدركت كم تحبه . لقد تأكدت من ذلك في تلك الساعة التي أمضتها في إنتظاره الليلة الماضية ، نعم إنها تحبه بكل جوارحها بغض النظر عن أي شيء ،كيف يمكن أن تتحمل هذا وأن تستمر في حياتها هنا ؟ لو أنها تجد وسيلة للتخلص من تزلير ذلك الرجل الذي أصبح يعني الكثير بالنسبة اليها ، في حين أنها لاتعني شيئا بالنسبة اليه . هذا ليس صحيحا تماما فهي لها بعض السيطرة عليه . وربما لو لم تكن فيليسيا موجودة لتقبلت هذا الوضع وارتضته ، على أما أن يأتي المستقبل بمشاعر أكثر عمقا . لكن أن تشارك امرأة أخرى فيه ، أبدا . هناك حدود لما يمكن أن يفرضه الحب .

وعادت الى النوم لكن في اغفاءات قصيرة متقطعة عند كل حركة من براد . وعندما دقت الساعة السابعة لم تستطع أن تبقى في مكانها ، فتسللت بحرص ونزلت من السرير فلايزال لديها نصف ساعة قبل أن يوقظه المنبه . ولكنها تذكرت وهي تمضي الى الحمام أن اليوم هو يوم السبت . وبراد لن يذهب الى المكتب . نسيت ذلك تماما عندما قالت لليوك أنها ستراه اليوم . لكن كيف تبلغ ليوك بذلك ؟ فليس من العدل أن تتركه ينتظرها في الكوخ في حين أنه يستطيع أن يستغل وقته في أشياء أخرى .

ونظرت الى السرير ثانية كان براد لايزال نائما في استغراق كامل . لو أسرعت لوصلت الى الكوخ وعادت قبل أن يستيقظ . وعضت ليزا شفتيها فجأة . إن لمقابلاتها مع ليوك طابع السرية مما يشعرك بالإثم . بالطبع هناك اختياران أمامها لتشعر بالراحة ، فإما أن تخبر براد بصداقتها مع ذلك المستأجر لديه أو بدلا من ذلك تتوقف عن الذهاب الى الكوخ .

ولم يكن أى من الخيارين يستهويها ، فقد أصبح الوقت متأخرا كثيرا بالنسبة للإختيار الأول مالم تتوصل الى عذر مناسب لعدم ذكرها لذلك من قبل . أما التوقف عن زيارة الكوخ فغير ممكن لأنها تعول كثيرا على صداقتها لليوك . إنه ملاذها الوحيد . كلا ، لابد أن تستمر الأمور على ماهي عليه في الوقت الحاضر ، فليس أي مجال لتغيير لاتحمد عقباه .

كان المنزل لايزال غارقا ي صمت مطبق عندما غادرته بعد أن ارتدت قميصا وسروالا وسترة خفيفة تقيها برودة الصباح . كانت السماء مكسوة بتلك الزرقة الضبابية التي تنبيء بأن اليوم سيكون لطيفا . وكانت الشمس وصلت فعلا الى أعلى الأشجار . واستغرق وصولها الى الكوخ عشر دقائق . لم تكن هناك أي بادرة على وجود حياة فيه . ويبدو أنه حتى في الليل لايهتم ليوك بأن يغلق الباب الخارجي لأنه أنفتح بمجرد لمسة عندما ضغطت عليه .

ووقفت مترددة على عتبة الباب وعيناها تجولان فيما حوته الغرفة . كانت هناك صينية تضم بقايا عشاء الليلة السابقة موضوعة على المائدة . كان من الواضح أن ليوك لم يستيقظ بعد . ماذا تفعل الآن ؟

وفكرت في ترك رسالة . لابد أن تترك له رسالة .

كانت اللوحة الموجودة على الحامل أسفل النافذة مغطاة . وشعرت ليزا بإغراء قوي بأن تنتهز هذه الفرصة وتلقي نظرة خاطفة على صورتها التي بدأ رسمها أمس ، لكنها قاومت هذه الرغبة وبدلا من ذلك قطعت ورقة من كراسة للرسم وجدتها على كرسي مجاور والتقطت أصبع طباشير ملون كان ملقي على مائدة قريبة . وكتبت :

آسفة ، الصورة يجب أن تنتظر حتى يوم الاثنين ثم أضافت اسمها وطوت الورقة ووضعتها في مكان بارز ليراها ليوك عند استيقاظه .ثم انسلت خارجة من الكوخ .وعندما عادت الى غرفة النوم كان صوت الماء ينساب فياضا من الدش . وتلقائيا ذهبت الى السرير حيث رتبت أغطيته ووسائده ثم اتجهت لتفتح الستائر . كانت النافذة الرئيسية الكبيرة تطل على الطريق ، ووقفت ليزا لفترة تطل خارجا وامارات القلق بادية على وجهها وسمعت صوت براد من خلال الغرفة يسألها :

[هل استمتعت بالمشي صباحا ؟]

واستدارت اليه ببطء لتواجهه وجاءها صوت من أعماقها يهيب بها أن تطلعه على كل ما يتعلق بلقاءاتها مع ليوك وألا تخفي عنه شيئا . لن يعترض على هذا . ولماذا يعترض ؟

[كيف عرفت أني كنت أتمشى ؟]

[رأيتك عائدة سيرا على القدمين]

ومشى متمهلا الى طاولة الزينة وأخرج سيكارة من علبته ثم وضعها بين

شفتيه وأشعل الولاعة باليد الأخرى الفارغة . وسحب نفسا عميقا من السيكارة من بين أسنانه ثم أسقط الولاعة في جيب بنطلونه وهو يحس باستمتاع . عكسته ملامحه وأضاف :

[كنت تبدين مسرعة . هل يمكن أن أرضي غروري وأقول أنك كنت تستعجلين العودة الي ؟]

[يمكنك أن تفرض ذلك اذا شئت]

[بالطبع أريد . لماذا لا تجيئين الي وتقولين صباح الخير]

وأدركت إنها إن لم تذهب فسيأتي اليها ويجعلها تفعل ذلك . تأكدت من ذلك بوضوح في لهجته . وابتلعت ريقها بصعوبة ثم مضت اليه ووضعت يديها على كتفيه وضغطت شفتيها على خده وسألته :

[هل يكفي هذا ؟]

ولاحظت الابتسامة الساخرة القاسية التي تكرهها كثيرا ترتسم على شفتيه وقال :

[إنه يكفي برغم أنك كنت أقل إجحافا في الليلة الماضية إذ كنت منطلقة على سجيتك بلا تحفظ !]

وضحك عندما رأى خديها يتوردان بحمرة الخجل ورأسها ينخفض في استيحاء وقال :

[لماذا الخجل ؟ أننا متزوجان]

واستدارت ليزا مبتعدة عنه في ارتباك واضح ، وأخذ يراقبها برهة حتى قالت له :

[طلبت من بوني أن تعد طعام الفطور مبكرا حتى تفرغ لرؤية جون جيفري فور وصوله . هناك أشياء قليلة يود أن يناقشها معك]

[إذن يحسن بنا أن ننزل فورا لتناول الفطور]

وصل جون جيفري وأمضى هو وبراد الجزء الأكبر من الصباح يناقشان معا خطط العمل في الاسبوع المقبل . ولم تدع ليزا للاشتراك معهما في هذه المناقشات المطولة والمعقدة والتي غلبت عليها الجوانب الفنية . وأخذت تتجول دون أن يقر لها قرار حول المنزل بعض الوقت ، ثم انضمت الى أليسيا في جلستها المفضلة كل يوم على سطحية المنزل في ضوء الشمس . وبعد قليل قالت لها حماتها بلهجة ملؤها المودة والاعزاز وهي تنظر اليها في إمعان :

[تستطيعين ترك الامر كله لبراد اليوم . ومن الافضل لك الحصول على راحة من القلق والانشغال بشؤن المنزل على ذلك النحو المرهق الذي تعودته في الآونة الأخيرة]

[لست قلقة فأنا أحب أن أشارك في العمل إنه يعطيني إحساسا بالإنتماء وهذا يسعدني كثيرا . فليس هناك أدعى الى السرور في إحساس المرء بأنه ينتمي الى شيء ما]

وساد الصمت بينهما لفترة وجيزة وبعدئذ قالت أليسيا في هدوء :

[ألا يوفر لك كونك زوجة لبراد هذا الإحساس بالإنتماء الذي تنشدين؟]

[الأمر مختلف فأسرة نورتون عاشت هنا في فارلي لمدة تزيد على خمسمائة عام ، وبراد جزء لا يتجزأ من هذا التاريخ . وهو يحب هذا المنزل بكل كيانه ومشاعره]

[أنت وجدت نفسك أيضا تشعرين بمثل هذا الحب للمكان ومن ثم حرصت على المشاركة . حسنا ، أنت أسعد حظا من البعض يا عزيزتي ، ذلك أنك تستطيعين الوصول الى ذلك الجزء من قلبه . لقد كان هناك جانب في والده لم أستطع أن أفهمه ، ربما لأنني لم أشأ أن أحاول ذلك أن ماتيو كان مستعدا للذهاب الى أي مكان وافشبال أية خطط يمكن أن نضعها من أجل عمله . فالانسان العادي يكتفي بمسئولياته عن أسرته وعن عمله خاصة اذا كان قاضيا مثل ماتيو ، لكنه لم يكن يكتفي بذلك . فكل الناس الذين حاكمهم أصبحوا موضع اهتمامه الدائم . كان يلاحق مصير الرجال الذين يرسلهم الى السجن ، ويرتب وظائف لهم عند الافراج عنهم ، ولا يشعر بالندم أبدا عندما كانت هناك غالبية تقابل عمله وجهده بعدم العرفان وتعود الى اسلوبها القديم في الحياة خلال أسابيع قليلة . أعتقد أنه يمكن أن نسميه الجل الانسان لكني لم أستطع أبدا أن أفهم لماذا يجب علي أن أعاني من أجل احتياجات أولئك الذين لم يكونوا أبدا يستحقون مساعدته]

ونظرت الى أعلى والتقت نظراتها بنظرات ليزا وأضافت مستطردة :

[لا ترتكبي نفس الخطأ الذي ارتكبته أنا ياليزا . هناك أعماق في الإنسان لن تصل اليها أي إمرأة والمرأة الحكيمه ستقبل هذا وتنعم لأقصى حد بما لديها فعلا]

وتساءلت ليزا كيف يكون حال المرأة التي ليس لديها شيء أصلا ، ماذا

سيحدث لها ؟ . وبعد قليل بدأ النعاس يغالب أليسيا وانسلت عائدة الى البيت . وفكرت ليزا في أنه لابد أن يكون هناك شيء ما تفعله لتمضية الوقت الذي مازال طويلا أمامها . لم يكن هنا أثر لبراد أوجيفري . وقد أخبرها أحد الكهربائيين أنهما في الطابق الأعلى من المنزل .

ودخلت ليزا الى المكتب وألقت نظرة أخرى على الخطط ولاحظت بكل الرضا كمية العمل التي تحققت فعلا ، وأدركت أنه اذاحالفهم الحظ فيمكن الانتهاء قبل أن يبدأ الطقس السيء باعتبار أن ذلك كفيل بتجنب كثير من المتاعب .

وعندما أخذت تتأمل تخطيط الطابق الأرضي وجدت نفسها تتسلى بجمع المقاسات الداخلية التي وضعها براد بالنسبة لكل غرفة . وتجهمت فجأة فقد كان الآمر غريبا . لابد أنها أخطأت في الحساب ومن ثم شرعت في الحساب من جديد .لكن المحاولة الثانية أوصلتها الى النتيجة نفسها . وأحست ليزا بحالة من الانفعال الشديد : هل يمكن أن يكون براد قد أخطأ في ادراك الفرق بين المقاسات الداخلية وبين المقاسات الخارجية بالنسبة للجناح الجنوبي ؟ وحتى مع حساب سمك الجدران الخارجية والقواطع بين الغرف فانه يبقى مايزيد عن أربع أقدام غير محسوبة .

وظلت واقفة هناك تعصر ذهنها وتتأمل بتمعن مختلف الغرف ، وتتساءل أين تكمن هذه الأقدام الأربع الضائعة . إن غرفة الجلوس مستبعدة على وجه التحديد لان كل جدرانها تم تقشيرها من الجص القديم البالي حتى الشرائح الخشبية الموجودة في أسفلها . أما غرفة الطعام فقد زودت بألواح وهناك احتمال أن يكون بعض معالمها اختلط بغيره بحيث أن جزءا منها أضيف الى الممر الذي يفضي الى المكتب . ثم هناك المكتبة . كانت تعرف أن هذه تضررت على نحو سيء من جراء حريق نشب بها في أوائل القرن السابع عشر ثم أعيد إصلاحها . وربما أعطيت تعليمات لهؤلاء العمال أن يتركوا تجويفا تحسبا للمستقبل .

كانت المكتبة هي التالية مباشرة لغرف المكتب . ربما كان هناك في وقت ما باب موصل بينهما ، لكن الآن لابد من الخروج من أحداهما الى الصالة للدخول الى الآخرى . وقبل أن تفعل ذلك قامت ليزا بقياس تقريبي لعرض الحائط بين مدخل الممر ومدخل المكتبة ، وفعلت الشيء نفسه داخل الغرفة

رجوعا الى الحائط القاطع الذي يفصل بينهما . وتأكدت من أنه لم يكن هناك أي سماكة لايمكن تفسيرها .

وحولت انتباهها الى الجدار الوحيد الآخر الذي يمكن أن يكون قد أقيم لاستخدامه في مثل هذا الغرض ، وتجنبت النقش البارز المدهش والمعقد لجيبون وأجرت عينا فاحصة حاسبة على الكتب التي تحيط بجانبي المدفأة . لو أمكن تحريكها بعيدا عن الحائط لأمكن فحص أشغال الخشب وراءها .

وبعد ذلك بدقائق توصلت الى استنتاج مؤداه أنها مثبتة الى الكسوة الخشبية للحوائط من ظهرها . وأعطاها هذا فرصة للتفكير ، لكنه لم يبد اعتقادها الراسخ بأنه في مكان ما خلف هذه الجدران مساحة أربع أقدام ضائعة وكل ما عليها أن تفعله هو أن تجدها بأي وسيلة كلفها ذلك من جهد ووقت

وبدأت مرة أخرى في فحص خزائن الكتب ، وركزت هذه المرة على الطريقة التي جمعت بها معا ، وأخرجت الكتب منها لكي تستطيع أن تحدد الطريقة التي تم فيها تثبيتها الى الحائط . ومن هنا مضت الى المساحات الموجودة بين الرفوف وأجرت أصابعها على حفافي الكسوة الخشبية للجدران وأخذت تضغط على أي قطعة من أشغال الخشب تبدو أكثر لينا .

ولكن كان عليها في نهاية المطاف أن تعترف بأنها ربما أخطأت . فلم تفض جهودها هذه الى شيء . بل لم يبد حتى أن هناك أي تجويف مشجع عندما أخذت تدق على الكسوة الخشبية بمفاصل أصابعها . ومع ذلك فان هذا الفارق في القياس لابد من أخذه في الحسبان في شكل أو في آخر .

وتوقفت ليزا قليلا لتستريح وهي تحدق مفكرة في أحد المقاعد تاركة عينيها تنسابان على الجدار كله . كانت هناك أربع خزائن للكتب ، اثنتان على كل جانب من جانبي المدفأة وفوقها كانت الكسوة الخشبية متصلة تمتد حتى مستوى السقف . الكسوة متصلة . تلك هي العلامة التي كانت تبحث عنها ! لماذا ، في تلك الايام التي كان فيها نقص حقيقي في الخشب ، توضع الكسوة أصلا وراء الخزائن مادامت هذه الاخيرة تغطيها ولا تظهر منها شيئا . إن الخزائن كافية تماما لتغطية الجدران ، فلماذا الكسوة الخشبية خلفها ، وما هو الغرض من ذلك ؟

وبعد أن توصلت الى شيء محدد تركز عليه جهدها وعملها عادت من جديد الى خزائن الكتب وشرعت مرة ثانية في البحث . وفي الخزائن الثانية

من الشمال لاحظت شيئا جعلها تشهق بصورة حادة . فقد لاحظت وجود شق بسمك الشعرة في المكان الذي تتصل فيه الخزانه بالحائط ، كان رقيقا للغاية بحيث لم يكن مرئيا للعين المجردة ما لم تكن لديها فكرة مسبقة عما تبحث عنه . وأدركت ليزا عندئذ أنه لاجدوى من محاولة نزع الرفرف إن ما عليها أن تكتشفه هو الالية التي بمقتضاها يعمل هذا الباب المستتر .

وأستغرق الأمر نصف ساعة حتى تتوصل الى ذلك الاكتشاف . ففي أسفل جانب كل خزانه كان هناك صف من الزهور والأشكال المحفورة في نقش بارز . ومرت عليها بأصابع حساسة وضغطت على الأخاديد الموجودة فيها ، منتظرة أن تشعر بالحركة التي تنبيء بالنجاح وأخيرا وبعد طول جهد وجدتها ، فقد انزلقت إحدى أوراق الزهرة السادسة الى حد الجوانب محدثة تكه خفيفة لكنها مسموعة . كان ذلك هو السر .

وجذبت برقة الخزانة ودارت الخزانة كلها وبصورة سريعة نحوها ، كاشفة عن هوة مظلمة وراءها . ومرت بضع لحظات قبل أن تقهر ليزا رعبها من العناكب على نحو كاف جعلها تزيح جانبا خيوط شباكها التي تسد المدخل وتدخل في التجويف . إن مساحته تبلغ نحو أربعة أقدام في ستة أقدام . وربما كان ارتفاعه ستة أقدام أخرى ، كان التراب سميكا على الأرضية ، فقد ظل في منأى عن أقدام البشر طوال قرون . وفي أحد الأركان كان هناك وعاءان صغيران يبدو أنهما مصنوعان من الحجر وتغطيهما طبقة سميكة من التراب . انحنت ورفعت أحد الوعاءين واضطربت عندما تذكرت أن آخر شخص لمسه قبلها ربما مات قبل ثلاثمائة عام . وقد يكون الوعاءان استخدما لوضع الطعام والشراب لشخص تعيس الحظ إختبأ هنا في حين كان البحث عنه يتم في كل أرجاء المنزل . أي جحيم أن يستلقي الانسان أو يقف في مثل هذه المساحة المحصورة لفترة ربما امتدت أياما طويلة ، يستمع الى أصوات الباحثين عنه في المنزل وهو يعرف أنه لو اكتشفوا المكان الذي يختبيء فيه فستكون لا نهايته فحسب بل نهاية كل الذين ساعدوه . وجاءها صوت من خلفها يسألها :

[أي شيطان هداك الى هذا الاكتشاف ؟

استفاقت سريعا من أحلام الماضي وعادت الى الحاضر لتواجه نظرات براد المندهشة . أجابت وهـــي حذرة من أن تقول أنها لاحظت شيئا غاب عنه هو شخصيا :

[تم ذلك صدفة حقا ! كنت أنظر في الرسوم التخطيطية ولاحظت فرقا بين المقاسات الداخلية]

[وبين المقاسالت الخارجية لهذا الجناح أذكر أني لاحظت هذه الحقيقة أنا نفسي عندما رسمت الرسوم التخطيطية لأول مرة لكنني نسيتها تماما]

ثم تقدم ليلقي نظرة عن كثب الى التجويف وأضاف قائلا :

[لكن ذلك لايفسر كيف عرفت أين تبحثين . ما الذي قاد خطاك الى المكتبة ؟]

ورفعت ليزا الوعاء الحجري وهي تقول لبراد :

[عن طريق عملية الاستبعاد . أنظـر الى هذا وهناك واحد لابد أن يكونا قد استخدماه لوضع الطعام والماء ، ألا تعتقد هذا ؟]

وأخذه منها وهو يديره بين يديه ويقول :

[محتمل جدا . كم من أنصار الملكية المخلصين حماهم هذا التجويف قبل اليوم الذي طرد فيه كروميل الذي ثار على الملكية في انكلترا]

وقالت ليزا وقد بدا الاهتمام بالموضوع واضحاً في صوتها :

[أنت لم تقل لي أن المنزل صودر . كم كان الأمر مرعبا بالنسبة لتلك السيدة المسكينة ماذا حدث لزوجها ؟]

[قتل في الحرب ، لكن ساره رفضت أن يكون موته سببا في كراهيتها للقضية التي حاربت من أجلها ، برغم أنها هي نفسها جاءت من زسرة مناصرة للثورة . وسمح لها أخيرا بالعودة الى فارلي ، لكن جزءا صغيرا فقط من أرض آل نورتون هو وحده الذي لم يكن قد تم بيعه ، كما جرد المنزل من كل شيء يمكن زن تكون له قيمة]

[لكن ذلك كله لابد أن يكون قد تم تعويضه بعد عودة الملكية . ذلك أن نورتون فارلي قدم حياته فداء العرش ، لاشك أن الملك شارل كان مدينا لأرملته]

[لم يكن الولاء والاخلاص محل تقدير في تلك الزيام يا طفلتي العزيزة . فقد كان لدى شارل الثاني اشياء عديدة تشغله أكثر أهمية من المحنة التي ألمت بأسرة منكوبة أخلصت له . وكان من حسن طالع الأسرة أن ساره لم تكن من النوع الذي تجعله المحن ينهار . فقد استطاعت بطريقة أو بأخرى أن تجعل القليل الذي ترك لها يدر عائدا معقولا ، لكن ثروة الأسرة لم تعد أبدا الى

حالها . واضطرت الأجيال التالية الى بيع المزيد من الأراضي حتى تركت فارلي في النهاية وليس منها سوى الأفدنة القليلة التي نملكها حاليا ومنزل واحد فقط من بين ستة منازل كانت موجودة أصلا . وقد أتاح هذا والدخل الناجم عن السماء للجمهور بالتفرج على فارلي باستمرار الوضع على ما هو عليه منذ أيام جدي وهناك إيجار ربع سنوي يجيء من الكوخ ، نسيت ذلك]

كان هذه أول مرة يذكر فيها براد الكوخ وقد أتاح هذا لليزا فرصة لكي تذكر عرضا أنها التقت بساكنه لكن الكلمات لم تطاوعها . ومدت يدها لتتحسس جوانب التجديف وقالت :

[لابد أنها مسدودة بشيء ما لمنع حدوث أي فجوات . لابد أن تحريك المدفأة أربع أقدام الى الأمام كان مهمة شاقة . وأني لأعجب لما كانت ساره تحس به عندما كان رجال الثورة يفتشون في هذه الغرفة]

[أتصور أنها كانت مرتعبة ، فلو اكتشفوا أنها كانت تخفي أنصار الملكية لكان ذلك معناه إعدامها فورا . لابد أنها كانت امرأة تملك شجاعة نادرة . إن رجالا قليلين يمكن أن يزعموا أنهم يتصورون وجود مثل تلك القوة والإخلاص والوفاء لدى نساء صممن عال الإنتقام لمقتل أزواجهن . ماذا كنت تفعلين لو كنت مكانها يا ليزا ؟ هل كنت تواصلين معركة زوجك ضد الظالمين أم كنت تفضلين الطريق الأسهل وتنحنين أمامهم وتسلمين تسليما كاملا بكل ما يريدون إيثارا للسلامة ؟ !]

[وما هو رأيك أنت ؟]

[أعتقد أنك ستحاربين من أجل الرجل الذي تحبينه . لكن السؤال : هل كنت ستقدرين على نوع الحب الذي عرفته ساره ؟]

وألمها قوله كما لو أن سكينا حادة انغرست في قلبها وقالت :

[ربما لا . إن عددا قليلا فحسب هو الذي يستطيع أن يحب شخصا آخر أكثر مما يحب نفسه]

وأحست فجأة بأن الاكتشاف الذي توصلت اليه فقد جاذبيته . وخرجت من التجويف الى المكتبة وتجاوزته وهي تشيح بوجهها عنه ثم قالت :

[الوقت متأخر ، هل تناولت قهوتك ؟]

[منذ فترة طويلة للغاية . اعتدت أنك خرجت لتتمشي ونسيت الوقت . سمعت إنك اعتدت الاختفاء لفترات طويلة]

وأعاد خزانة الكتب الى مكانها ثم استدار لينظر اليها ويقول :

[أين تذهبين يا ليزا ؟ هل وجدت مخبأ تجلسين فيه وتتخيلين أنك هربت من فارلي ومني . حتى لو كان ذلك لفترة محدودة ؟]

تساءلت ليزا هل عرف أنها ذهبت الى الكوخ ؟ أهذا هو السبب في أنه ذكره منذ لحظة ؟ لكنها استبعدت ذلك ، فلو كان فعل ذلك لأثار الموضوع مباشرة . وأجابت :

[قلت لي أني لا أستطيع ذلك . فأينما ذهبت فإن ذكرى حفلتنا التنكرية هذه ستلاحقني]

وأصبحت ملامحه البرونزية قاسية متصلبة وهو يقول :

[أية حفلة تنكرية ؟ نحن زوجان حقيقيان يا ليزا بكل ما في هذه الكلمة من معني]

[وماذا يحدث عندما يضعف شوقك الي ؟]

[مهما حدث فلن يكون هناك طلاق . يمكنك التأكد من هذا .

والآن أقترح أن تغيري ملابسك قبل تناول الغذاء ، فإن ستيوارت سينضم الينا اليوم]

١١ ـ البداية !

كان وجود ضيف الى مائدة الغداء في ذلك اليوم مدعاة لتخفيف التوتر واضفاء الإحساس بالراحة والتخلص من جو الشد ، كان الدكتور أدامز هو الطبيب الممارس العام للمنطقة . كما أنه صديق حميم وقديم لأسرة ماتيو نورتون ، كان رجلا هادئا حلو الشمائل ودودا يرتدي الحلة القديمة من قماش التويد صيفا شياء على حد سواء ويبدو عليه الإنشغال والتفكير عادة . وكان الوقت في المنزلة الأولى من اهتماماته ، يحرص عليه وعلى الاستفادة منه الى أقصى حد ، وحتى كان لديه وقت فراغ لمدة ساعة أو ساعتين ، مثل ذلك اليوم فإنه يظل يتطلع الى ساعته وينتابه إحساس مستمر بأنه يبدد وقته وأن عليه أن يقوم باستغلاله بطريقة أفضل .

ودار الحديث على المائدة حول الاكتشاف لبذي توصلت اليه ليزا عن ذلك التجويف ذي الباب السري في غرفة المكتبة . وقد أبدت أليسيا اهتماما بالغا بهذا الاكتشاف وكانت تود الذهاب فورا لولا أصرار الطبيب على أن تترك رؤية المكان السري الى ما بعد فترة راحتها في الأصيل . ولم تفلح محاولاتها لإقناع الطبيب بأنها على ما يرام ، وأن الذهاب الى المكتبة لن يرهقها في شيء ولن يسبب لها أي ضرر .لكن الطبيب أصر على موقفه .

وقال بحزم :

[إنك متعبة بالفعل . وإذا كان هذا التجويف الموجود في غرفة المكتبة بقي في مكانه لمدة طويلة تزيد على ثلاثمائة عام، فأنه على وجه التأكيد لن يختفي من المكتبة خلال الساعات القليلة الباقية من الوقت الذي اقترحه عليك]

وعندما مضت أليسيا الى غرفة نومها لتستريح قال الطبيب لكل من ليزا وبراد وهو ينقل البصر بينهما في تمهل :

[أريد أن أتحدث إليكما ؟ فهل تتفضلان بالإستماع الي ؟]

ورفع براد رأسه من على فنجان القهوة الذي كان يرتشف منه ، ونظر الى الطبيب وهو يتوجس خيفة مما سيقوله وسأل :

[هل حديثك يا دكتور آدامز يتعلق بأمي ؟]

وأومأ الرجل المسن برأسه وقد بانت على ملامحه إمارات التفكير العميق ، وقال : [نعم الحديث سيكون عن أليسيا . لا تنظر الي يا براد على هذا النحو فأنا لن أقول لك أن حالتها تسوء على النقيض من ذلك ، إن ما سأقوله لك كتقرير عن حالتها هو العكس تماما . أنت تذكر يا براد أننا عندما استدعينا الإخصائي لفحصها وتقرير خالتها منذ ثمانية عشر شهرا قال إنه في ضوء حالتها الصحية العامة حينذاك فإن عملية جراحية ستكون مميتة بالتأكيد .

قال براد وهو يحدق في الطبيب :

[نعم حدث هذا فعلا ، ومازلت الى الآن أذكره]

فتنهد الطبيب وهو مستمر في نقل نظراته فيما بين براد وليزا وقال :

[حسنا ، أنا من رأيي الآن أن العوامل الإيجابية باتت متوفرة فهي تزداد قوة بانتظام ، خاصة خلال الأسابيع الأخيرة . وبالذات منذ أن أحضرت زوجتك معك الى فارلي . وفي أي حال فأنا أود أن تستدعي الدكتور سومرز لكي نستشيره مرة اخرى وتقرر في ضوء ما يتوصل اليه من نتائج]

[لنفرض أن العملية الجراحية باتت ممكنة ولا خطر منها ، فما هي فائدتها بالنسبة اليها على وجه التحديد ؟ هل ستؤدي هذه العملية الى نتائج إيجابية معينة ؟

[إنها ستطيل عمرها لعدد غير محدد من السنوات ، وتجعل الحياة بالنسبة اليها أسهل وأكثر مدعاة للسرور والبهجة . حتى لو أن سومرز نفسه قال إن فرصة نجاح العملية مساوية لفرصة عدم نجاحها فإني شخصيا أرى أن الأمر جدير بالمخاطرة . ذلك أنه في ظل الوضع الصحي الراهن لأليسيا هناك فرصة لإصابتها بنوبة أخرى ، وفي هذه الحالة ستكون نهايتها على وجه التأكيد . أمك يا براد امرأة شجاعة لكن جسدها تعرض لتعذيب كاف لا يجب أن يستمر أكثر من هذا . ومع استبدال ذلك الصمام في قلبها يمكن أن تبدأ حياة جديدة بكل المقاييس والمعايير المعروفة]

وسأل براد وهو يحس أن قلبه يكاد يتوقف من فرط خوفه على أمه :

[ماذا سيحدث إذا لم نقم بإجراء هذه العملية الجراحية وإذا لم تتعرض الى نوبة أخرى ؟]

وتردد الطبيب طويلا ثم قال : [من الصعب أن تقطع في الأمر على وجه اليقين . ففي أوائل هذا العام بدت مستسلمة تماما ، كأنها فقدت الرغبة في العيش . أما الآن فهي امرأة مختلفة تماما . ولابد أنك نفسك لاحظت كيف ذهب عنها هذا الشعور بالفتور والإذعان . إنها تريد بتلهف أن ترى أول حفيد لها ، ولاشك أن قوة إرادتها هي التي تجعلها تحيا بأمل أن ترى هذا الحلم يتحقق . لكنها في أحسن الأحوال ستكون عاجزة ويجب مراقبتها في كل خطوة وفي كل حركة]

[فهمت . هل ذكرت أي شيء عن هذا لأمي ؟]

[لا ، فأنا أود الحصول على رأي سومرز قبل أن نطلعها على الأمر]

قالت ليزا : [لكن زيارة الأخصائي لها مرة أخرى قد تجعلها تعتقد أن حالتها تزداد سوءا]

[لا ، لأننا سنقول لها إن ذلك متفق عليه ، حيث تقرر أن يحضر مرة أخرى بعد مرور ثمانية عشر شهرا للمراجعة]

وسأل براد بطريقة مقتضبة ونظرة مازال مركزا على المائدة :

[متى تعتقد أنه سيكون في استطاعتك إحضار الأخصائي لرؤيتها ؟]

[أعطيت نفسي حرية الإتصال به هاتفيا هذا الصباح وحددت موعدا معه . سيأتي يوم الأربعاء في الساعة الثانية بعد الظهر]

ونهض واقفا وسار بضع خطوات في الغرفة وأضاف : [وبما أن لدي زيارة في سكبتون الساعة الثالثة فإنه يجدر بي أن أنصرف حالا]

ووقفت ليزا معه في الردهة بينما ذهب براد ليحضر له قبعته وحقيبته وسألته ليزا : [هل تعتقد حقا أن هناك فرصة طيبة لإجراء هذه العملية دون أي خطورة ؟]

وأجاب ستيوارت وهو يتفرس فيها مليا :

[لست أنا من يقول الكلمة الأخيرة ، ومع ذلك فإني أرد بالإيجاب على سؤالك . على الأقل يمكنني القول باطمئنان وثقة كاملين أن حالة أليسيا وظروفها الصحية العامة في الفترة الراهنة هما في أفضل وضع يمكنها من تحمل إجراء الجراحة . وبمناسبة الحديث عن الحالة الصحية العامة ، فإنك

أنت نفسك تبدين شاحبة . وقد لاحظت أنك لم تأكلي شيئا تقريبا . ربما كان عليك أن تزوريني في العيادة لإجراء فحص شامل لمجرد الإطمئنان الى أن كل شيء على ما يرام]

[ليس هناك شيء كان الجو حارا فحسب خلال الأسبوعين الأخيرين مما سبب لي ارهاقا ، إن كل شيء يذبل في هذا البلد لو أشرقت الشمس مدة تزيد من يومين متتاليين . لسنا متعودين على الحياة في ضوء الشمس المشرقة بصورة مستمرة]

فرد الدكتور ستيوارت وهو لايزال يحدق في وجهها :

[أنا أوافقك على هذا ، لكنه لن يترتب أي ضرر على رغبتنا في أن نطمئن وأن نتأكد ولذلك فأنا مصر على أن تزوريني لإجراء الفحص]

وربت على كتفها بطريقة أبوية واستدار الى براد عندما رآه قادما بحقيبته وقال : [شكرا لكما . وأتمنى أن تنتهي كل هذه الأعمال في المنزل وما تسببه من فوضى وارتباك بحيث لا تضطرون الى نقل كل شيء من مكانه كما هي الحال الآن]

وابتسم براد وهو يناول الدكتور ستيوارت أشياءً وقال : [كان كل هذا ضروريا وهو في أي حال واجب لن يكون علينا مواجهته مرة أخرى . والواقع أن هؤلاء الرجال يعرفون عملهم جيدا ويتقنونه الى أقصى حد]

[لكني مازلت أقول لك أن كل هذه التكاليف لا تبررها النتائج . ومازلت أعتقد أنه كان من الأفضل أن تدع الدولة تأخذ البيت وتحصل لنفسك على مكان أصغر . وذلك سيكون أنسب لأمك أيضا . ذلك أن تغييرا من هذا النوع سيفيدك كثيرا]

وسأله براد وهو يرفع حاجبه دهشة : [هل هذا رأيها أم رأيك ؟]

وضحك الطبيب وهو يقول : [إنه رأيي طبعا . إن اليسيا متمسكة بهذه الأطلال القديمة مثلك تماما ، في أي حال علي أن أذهب فورا وإلا تأخرت فإلى اللقاء يوم الأربعاء ، وسأترك لك يا براد أن تخبرها بزيارة إعادة الكشف التي سيقوم بها الدكتور سومرز . اذكر ذلك عرضا فقط ، تذكر هذا ، كما لو كنت تذكرها بهذا فحسب . فأنا لا أريدها أن تنفعل في هذه المرحلة]

وعندما عاد براد وليزا بعد اصطحاب الطبيب حتى الباب لتوديعه قال براد :

[سأذهب الى المكتب . يمكنك أن تقولي لبوني أنني سأتناول الشاي هناك

لدي بعض العمل]
وراقبته ليزا وهو يتحرك عبر الردهة دون أن ينظر اليها :
[وجاءت عطلة نهاية الاسبوع طويلة مملة . قضى براد الجزء الأعظم منها محبوسا في المكتب لا يخرج منه إلا لتناول الطعام . وراحت ليزا تتجول في كل مكان من المنزل تقرأ قليلا وتتكاسل كثيرا ، ويبدو أن كل الطاقة التي تميزت بها خلال الأسابيع الماضية نضبت . بل أصبح النهوض والذهاب الى غرفة الطعام في مواعيد الأكل أمرا مجهدا . واتصل بها ريك هاتفيا في نهاية أصيل يوم السبت . وعندما ذهبت الى الصالة لترد على المكالمة وجدت نفسها تتساءل كم من الوقت سيمضي قبل أن يطلب منها نقودا . إنها لا تملك شيئا خاصا بها ، ويستحيل أن تطلب من براد أن يستمر في مساعدة أخيها .
قال ريك : [أنا أحدثك من كنغز كروس . أنا في طريقي الى الشمال]
[ماذا تقصد بقولك إنك في طريقك الى الشمال ؟ هل أنت قادم الى هنا؟]
[كلا ، حصلت على وظيفة في نيوكاسل . إسمعي يا ليزا .. أنا أعرف أنك لن تقري هذا ، لكني سأعمل لدى رجل افتتح كازينو هناك . ذلك ما كنت أريد أن أفعله ، وهناك إمكانية لمشاركته فيما بعد أنا أعرف . هل تضحكين ؟]
بالفعل كانت ليزا تضحك ، كان ريك يبني مستقبله بطريقة إنه ليس في حاجة اليها . ليس هناك أحد في حاجة اليها وقالت : [إن المثل يقول من لا يستطيع أن تغلبه انضم الى صفوفه . وتلك حياتك يا ريك]
صمت ريك وعندما استأنف الحديث بدا مرتبكا وقال :
[تغيرت كثيرا يا ليزا ، أليس كذلك ؟ في فترة من الفترات كنت تبذلين قصاري جهدك لإثنائي عن عزمي هذا . ألن تحاولي حتى معرفة مزايا الوظيفة التي تخليت عنها ؟]
[هل من هذه المزايا أن تغرف بيديك من خزنة الشركة ، أنا آسفة ، لم يكن ينبغي أن أقول هذا لكنك أنت السبب في كل ذلك]
وجاءها صوته حزينا شاعرا بالندم والآسف وهو يقول :
[تلك هي الحقيقة في نهاية الأمر . في أي حال لا تخشي أن أتورط في مثل هذا العمل مرة أخرى ، إن مرة واحدة كانت كافية !]

[نعم]

لم تستطع ليزا أن تفكر في شيء آخر تقوله . كانا على طرفي نقيض . إن الأخ الذي ظنت أنها تعرفه ليس ريك . وأخيرا قالت : [في أي حال أتمنى لك حظا سعيدا في العمل الجديد وأمل أن تحقق فيه كل ما ترجوه]

[شكرا لك ، بلغي تحياتي الى صهري وقولي له إني ربما أصبحت قريبا في وضع يتيح لي أن أسدد مبلغ الخمسمائة جنيه]

[لن يأخذها لكني سأبلغه ذلك] .

وبعد ما وضعت السماعة أدركت أنها لم تعد تشعر بأنها فقدت شيئا بذهاب ريك . كل ما أدركته هو أنها باتت تحس بالراحة لأنها لن تضطر أن تقلق عليه أو تهتم به . فلو أنه مهتم بالعمل في هذا الكازينو فإنه لن يغامر أبدا بنسف مستقبله .

كان براد واقفا على مقربة منها أسفل السلم ورأته حين استدارت . لم تسمع وقع خطواته عندما جاء وجعلتها الصدمة الناجمة عن أنها وجدته قريبا منها تتراجع الى الوراء رغما عنها وتغمغم قائلة : [أفزعتني ..]

ورأت شفتيه تتقلصان وهو يقول لها :

[من الواضح أن ذلك حدث . مع من كنت تتحدثين ؟]

وأرتبكت تحت وقع نغمته الغريبة ونظرة عينيه الباردة وقالت :

[مع ريك بالطبع]

وتقدم اليها فجأة وأمسك بها من كتفيها وهو يقول :

[منذ متى وأنت تترددين على ليوك بلاند ؟]

ولما كانت لا تتوقع أبدا مثل هذا السؤال فقد بادرت بالرد بأول شيء خطر في بالها : [كيف عرفت هذا ؟]

وتقلصت عضلات فكيه بصورة حادة وهو يقول :

[بالطريقة نفسها التي يكتشف فيها كل الأزواج هذه الأشياء . فقد ذهبت الى الكوخ لأرى بلاند ولم يكن هناك . لكن الصورة التي بدأ رسمها لك كانت هناك على الحامل]

وابيض وجهها وقالت متلعثمة : [براد . لا يمكن أن تعتقد أن ليوك وأنا .. إنه كان هناك ... براد ، إنه كهل في عمر والدي]

[لكنه ليس كهلا الى درجة تمنع النساء من أن يرينه جذابا . أنا أسألك

منذ متى تترددين عليه ؟]
[منذ سبعة أو ثمانية أسابيع]
[كل هذه المدة كنت تلتقينه سرا وتطلبين مني أن أصدق أنها لقاءات بريئة تماما ؟ لابد أنك تعتبرينني مغفلا]
[ليوك مجرد صديق يا براد ، إنه شخص رائع لكنه ليس أكثر من صديق . هل يمكن أن تقول الشيء نفسه عن فيليسيا]
[لا تحاولي أن تقلبي المائدة على صديق ليس هناك رجل يعرفك لمدة ثمانية أسابيع ولا يحاول أن يغريك]
[ربما تجد أنه من الصعب عليك أن تفهم هذا ، أنت تحكم على ليوك من واقع غرائزك ، لكن الأمر ليس كذلك على الاطلاق إنه لطيف ومتفهم]
[كل الأشياء التي ليست في ، أليس هذا ما تحاولين أن تقولينه ؟]
وفجأة ذهبت النار المشتعلة في عينيه وعاد صوته رقيقا وأخذ يتأملها في صمت لفترة طويلة ثم قال :
[هل تحبينه يا ليزا ؟]
فاعترضت صارخة :
[كلا ، كيف يمكن أن أكون كذلك في حين]
وتوقفت يائسة . ورأت تعبير وجهه يتغير ويقول :
[في حين ماذا ؟ ماذا كنت ستقولين ؟]
وفكرت ليزا ، لا يمكن أن يكون هناك حرص على عدم إراقة مياه الوجه في وضع مثل هذا . فرفعت رأسها ونظرت اليه وقالت :
[في حين أن كل الحب الذي لدي مكرس لك]
واندفعت اليه ودفنت وجهها في صدره وي تنحب وتقول :
[كن عطوفا علي يا براد]
[أوه يا ليزا ، يا إلهي ، ليزا !.]
وعندئذ وضع ذراعا أسفل ركبتيها ورفعها الى أعلى وسار بها عبر الممر الى المكتب . ولم تحاول أن تتحرك عندما جلس في مقعد مريح هناك . لم يعد هناك أي دفاع الآن ، والشيء الوحيد الذي يهمها أن تعرفه هو أنه مهما حدث فإنها لا تستطيع أن تتركه لأنه أصبح حياتها ، كل حياتها . وعندما رفع رأسه عنها وضعت يدها على فمه وقالت : [لا تقل أى شيء. أنا أعرف

أنك لا تستطيع أن تقول أنك تحبني، لكن هذا لا يهم.]
[أنا لا أحبك أيتها الحمقاء الصغيرة. لماذا تقولين هذا بالطبع أنا أحبك.]
[لكنك قلت لي يابراد، تلك الليلة أنك لم تكن تحبني عندما طلبت مني الزواج.]
[كنت أريدك لانني محتاج اليك، لكنى أعتقد أنى بدأت أحبك فى اليوم الذى جئت بك فيه الى المنزل. وقلت لى فيه أنك تريدين أن تصبح فارلى مكانا سليما آمنا. ياحبيبتى إن الحب الحقيقى، الذى نعشه الآن، يأتى من معرفة حقيقة الأنسان ومعاشرته. لهذا فان الزواج مقامرة حقا، لأنك لا يمكن أن تعرفي شخصا على حقيقته الا بعد أن تعاشريه.]
[لماذا لم تقل لى هذا ليلة زفافنا؟ لقد كان ذلك كفيلا بأن يجنبنا كثيرا من الآلام.]
[لم تكونى فى حالة تسمح لك بالإصغاء. طلبت منى أن أجيب بلا أو نعم فقط. وكنت أستطيع أن أتحايل على هذا لكنى كنت غاضبا للغاية.]
[يبدو أنى كثيرا ما أغضبتك فى الاسابيع الاخيرة.]
[نعم بالتأكيد. لكن هذه الروح وذلك العناد جزء من المرأة التى أحبها، ولا أريدك أن تتغيرى حتى لو كنت تصلين بى أحيانا الى حد العنف. وهذا يذكرنى بموضوع فيليسيا. ما الذى تتصورينه بيننا؟]
[أعتقد أنك مستمر فى رؤيتها. ولما كنت عرفت أنك طلبت منها أن تتزوجها فأنا...]
وهنا صرخ هاتفا:[عرفت ماذا؟ ياآلهى، هل هذا ماقالته لك؟]
[أليست تلك هى الحقيقة؟]
[كلا. تلك اللئيمة لقد دار حديث عن الزواج، لكنه كان اقتراحا من جانبها وليس من جانبي لقد اكتشفت ذلك الشرط فى الوصية، ولابد أنها رأت تلك النسخة التى أحتفظ بها منها فى درج المكتب. وعرضت على أن تساعدى فى استكمال الشروط مقابل نصف الميراث.]
[فهمت. هل كنت ستقبل لو لم يكن هناك طريق آخر؟]
[ربما. فقد كنت أحتاج الى هذه النقود بشدة، حتى لو اضطررت الى أعطاء أسمى لامرأة لا أحس تجاهها الا بالازدراء. أن فيليسيا جميلة، وهى تستغل هذا فى الحصول على ما تريد. وعندما جئت بك الى المنزل لم يكن

ضياع الثروة هو الذى افقدها صوابها فحسب وإنما الطعنة التى اصابت كبرياءها.]

[هل كانت الكبرياء هى التى جعلتك تعاملها كما لو أن شيئا ما يحدث بعد]

[بعد ليلة زواجنا التى لم تنجح. نعم كان الأمر كذلك . لقد صممت على ألا أجعلها تعرف كم نجحت خطتها برغم أني كنت أستطيع أن أخنقها فورا . هل لديك أسئلة أخرى ؟ !]

[سؤال واحد. أين ذهبت مساء يوم الجمعة بعد أن تركت المكتب؟]

[قدت السيارة الى منطقة أحبها فى مالها مديل وجلست فى السيارة أفكر. كان لابد أن أنفرد بنفسى، بعيدا عن المنزل وعنك، لأقرر ما سأفعله بالنسبة الينا. كنت تدفعيننى الى الجنون.]

[وماذا قررت؟]

[قررت أنه على رغم أنى لا أستطيع أن أجعلك تحبيننى، فأنى لن أدعك ترحلين. ولمعرفتى بك كان هناك طريق وحيد لذلك، هو أن أهبك طفلا. هل تحبين الأطفال ياليزا؟]

وضحكت وهى تقول:

[ربما فات الأوان لأن أقرر ما أحبه وما لا أحبه فى هذا الصدد.]

وتأمل وجهها مليا، ثم أدرك أنها حامل، فافتر ثغره عن ابتسامة ملؤها السعادة وسألها:[شككت فى الأمر منذ شهر مضى، وعندما فحصنى الدكتور آدامز أمس أكد لى أننى حامل.]

[شهر كامل ولا تقولى شيئا؟]

[لم أستطع يابراد. بل أنى أعترف بينى وبين نفسى بهذا، فقد كنت أظن أنك لاتحبنى. ووجدت أنه ليس من العدل أن أنجب طفلا فى مثل هذا الجو القائم بيننا.]

[والآن أحس بأنه لدى كل شىء، حبك، وطفلك، وبيتك. وليس هناك امرأة تحلم بأكثر من هذا.]

[بل هناك أكثر وأكثر، وهذا ليس سوى البداية.]

